الفصل الأول

- ١ -

جلس مستر "جستيس وارجريف" القاضي المتقاعد حديثاً ، في احد اركان عربة التدخين الملحقة بعربات الدرجة الأولى من القطار ، وهو ينفث دخان سيجاره ويتفحص باهتمام الأخبار السياسية بجريدة "التايمز" .

ونحى جريدته جانباً واخذ ينظر من النافذة كان القطار يمرق خلال "سمرست" ونظر إلى ساعته ، وكانت لا تزال لديه ساعتان واخذ يستعيد في ذاكرته كل ما كتب عن جزيرة "نيجر" مثل ما ذكر عن شراء مليونير أمريكي مغرم بسباق اليخوت للجزيرة وعن القصر الفاخر الذي بناه على الشاطئ المقابل لشاطئ "ديفون" .. ولكن الجزيرة والقصر في طريقهما الآن للبيع . نتيجة لما ترتب على كون زوجة المليونير ملاحة فاشلة . وظهرت إعلانات كثيرة في الصحف تعرض الجزيرة وما عليها للبيع ، ثم ترامت انباء سيئة تقول إن مستر "اوين" اشترى الجزيرة . وبعدها انطلقت شائعات محرري الاجتماعات بالصحف فقالوا إن المشتري الحقيقي للجزيرة هو ممثلة السينما الأمريكية الآنسة "جابريل تيرل" وقالوا إنها ستكون مقراً ملكياً او مخبأ لشهر عسل اللورد "ل" كما قالوا إن البحرية قد اشترتها لإجراء بعض التجارب السرية .

واخرج مستر "جستيس وارجريف" من جيبه خطاباً ، كان الخطاب مكتوباً بخط رديء ، إلا ان بعض الكلمات هنا وهناك كانت تبدو واضحة .

"عزيزي "لورنس" .. كم من السنين قد مضت دون ان اسمع شيئاً عنك .. يجب ان تحضر إلى جزيرة "نيجر" .. اجمل مكان ، لديّ الكثير الذي يستحق الحديث .. الأيام القديمة ، حمام شمس ، الثانية عشر واربعون دقيقة من "باوينجتون" . قابلني في "اوكبريدج" . وكان الخطاب مذيلاً بتوقيع المخلصة.. "كونستانس كليمنجتون" .

واجهد مستر "جستيس وارجريف" ذاكرته محاولاً تذكر آخر مرة التقى فيها بالليدي "كونستانس كليمنجتون" ، من المحتمل ان يكون ذلك منذ سبع او ثمان سنوات مضت ، كانت تتجه حينئذ إلى إيطاليا للتمتع بالطبيعة واشعة الشمس .

وقال لنفسه إن "كونستاس كليمنجتون" هي عين المراة التي يمكن ان تشتري جزيرة لتحيط نفسها فيها بالغموض .

- ٢ -

القت "فيرا كليثون" براسها إلى الوراء واغمضت عينيها عن زملائها الخمسة في السفر بعربة الدرجة الثالثة في القطار ، ياله من قيظ ذلك الذي يصحب السفر بالنهار ، سيكون الوصول إلى شاطئ البحر رائعاً ، لقد كان من حسن الحظ ان عثرت على هذه الوظيفة . عندما تبحث عن عمل في العطلة فإن هذا دائماً يعني رعاية مجموعة من الأطفال ، اما الحصول على اعمال سكرتارية فإنه شيء نادر ، حتى مكتب التوظيف لم يكن لديه اي امل في العثور على عمل لها وعند ذاك وصل إليها هذا الخطاب .

"لقد تلقيت اسمك من مكتب تشغيل النساء الماهرات مصحوباً بالتوصيات اللازمة ، وفهمت من الخطاب إنهم يعرفونك شخصياً . سيسرني ان ادفع لك المرتب الذي تحددينه وساكون في انتظارك لتبدئي العمل يوم ٨ اغسطس -اب - . استقلي قطار الثانية عشرة والدقيقة الأربعين من "باوينجتون" ، وسينتظرونك في محطة "اوكبريدج" مرفق طيه خمسة جنيهات لنفقات السفر".

المخلص
"إينانس اوين"

وفي اعلى الخطاب كان العنوان مطبوعاً : جزيرة "نيجر" ، "سيكلهافن" ، "ديفون" .

جزيرة "نيجر" ! يا للغرابة ، لم يكن للصحف من شاغل سواها في الفترة الأخيرة ، بترديد كل انواع اللغط والشائعات المثيرة حولها ، على الرغم من ان معظمها على الأرجح كان كاذبا ، ولكن من المؤكد ان المنزل قد بناه مليونير وقيل إنه بالتاكيد آخر صيحة في عالم الفخامة .

كانت "فيرا كليثون" قد فكرت بعد ان انهكها التعب خلال العام الدراسي ، وقالت لنفسها :

"ليس بالشيء الرائع ان يكون المرء مدرس العاب في مدرسة من الدرجة الثالثة - لو انني استطيع العمل في مدرسة محترمة !"

ثم فكرت والخوف يعتصر قلبها قائلة :
"ولكنني محظوظة للحصول على العمل الذي اشغله الآن . على كل حال فالناس لا يحبون من يقدم للتحقيق معه في محكمة "كورونر" . حتى لو ان المحكمة قد حكمت ببراءته" ..

وتذكرت ايضاً انه قد مدحها لحضور بديهتها وشجاعتها ولقد كانت مسز "هاميلتون" مثالاً للطيبة معها . ولكنها لم تكن تهتم بـ"هوجو" .

وفجاة اقشعر بدنها رغم حرارة جو العربة وتمنت لو لم تكن ذاهبة إلى شاطئ البحر .. راس "سيريل" تطفو وتغوص وهي تسبح نحو الصخرة .. تطفو وتغوص .. تطفو وتغوص . تشق طريقها في الماء وإن كانت تعرف بالتاكيد انها لن تصل في الميعاد .

البحر .. بقاعه العميق الدافئ الأزرق ، واوقات الصباح تمضي في استرخاء على الرمال . "هوجو" ، هو الذي قال إنه احبها ..

يجب الا تفكر في "هوجو" .

وفتحت عينيها وحدقت في الرجل الجالس قبالتها ، كان رجلاً طويلاً ذا وجه بني وعينين لامعتين ، وفم عنيد قاس .

وقالت لنفسها :

"اراهن انه قد زار بعض الأماكن الممتعة في العالم وانه قد راى اشياء مثيرة" .

- ٣ -

ولخص "فيليب لومبارد" رايه في الفتاة الجالسة امامه ، بعد ان رمقها بنظرة سريعة ، بان قال لنفسه :

"جذابة للغاية .. وإن كانت تبدو كالمدرسات" .

وتخيلها باردة الطباع من النوع الذي يحافظ على نفسه في الحرب او الحب كم يسره ان ياخذها في ...

وقطب وجهه ، كلا ، ابعد هذا عن ذهنك ، إنك مقدم على عمل ويجب أن يركز ذهنك في هذا العمل .

وتعجب فيما كانت عليه طبيعة الأمر ، لقد كان هذا اليهودي الصغير غامضاً للغاية "إما ان تقبلها او لا تقبلها يا كابتن "لومبارد" .

- اتقول مائة جنيه ؟

لقد قالها بطريقة عادية وكان مائة جنيه لا تعني شيئاً بالنسبة له ، مائة جنيه في الوقت الذي كان يتناول فيه آخر وجبة له ، وخيل إليه ان اليهودي الصغير لم يخدع رغم ذلك . شر ما في اليهود انه لا يمكن خداعهم فيما يمس النقود ..

وقال بنفس اللهجة العريضة :

- الا يمكنك ان تعطيني اية بيانات اخرى ؟

وهز مستر "إيزاك موريس" راسه الصغير الأصلع بثقة قائلاً :

- نعم يا كابتن "لومبارد" .. هذا كل ما في الأمر . من المفهوم لدى عميلي انك رجل حسن السيرة ولكنك في ظروف سيئة في مقدوري ان اسلمك مائة جنيه تسافر في مقابلها إلى "سيكلهافن" بـ "ديفون" . اقرب محطة هي "اوكبريدج" وسينتظرونك هناك ثم ينقلونك بالسيارة إلى "سيكلهافن" حيث يقلك قارب بخاري إلى جزيرة "نيجر" ، وهناك ستكون في ضيافة عميلي .

وقال "لومبارد" فجاة :

- والمدة ؟ .

- لا تزيد على اسبوع .

وقال كابتن "لومبارد" يعبث بشاربه الصغير :

- إنك لتفهم انني لا استطيع القيام باي عمل غير قانوني .

وكانت عينا الرجل الآخر تبرقان بنظرة حادة وهو يقول هذا الكلام وظهرت ابتسامة باهتة جداً على شفتي مستر "موريس" وهو يجيب برصانة :

- لو انك ترى انني اقترح عليك القيام باي عمل غير قانوني فبمقدورك ان تنسحب .

لعنة الله على الحيوان الصغير الأملس ، لقد ابتسم ، كما لو انه كان يعرف ان القانون لم يكن له مكان في ماضي "لومبارد" .

وكشر "لومبارد" عن انيابه .

- ٤ -

وفي إحدى عربات القطار الممنوع فيها التدخين جلست الآنسة "إميلي برنت" منتصبة كعادتها ، كانت في الخامسة والستين ، ورغم هذا لم تكن

تميل إلى الاسترخاء . لقد كان والدها "كولونيل" من الطراز العتيق ولذا فقد كان حريصاً في هذه الأمور.

إن الجيل الحاضر لكسول في تصرفاته وفي كل شيء اخر بصورة تثير الخجل .

وجلست الآنسة "برنت" يقلقها الإحساس بتمسكها بمبادئها الحقة ، وفي عربة الدرجة الثالثة وهي فخورة بكل ما فيها من مشقة وحرارة .

كانت شفتا الآنسة "برنت" مضمومتين جيداً ، فقد كانت تريد ان تقتدي بفريق معين من الناس .

كانت في مقتبل عمرها . اسمها . الآنسة .. الآنسة .

ما اسمها ؟ لقد كان ابوها من رجال القانون وكانت هناك سيدة تدعى مسز "اولتون" . اومن . كلا لقد كان اسمها بالتاكيد "اوليفر" .. نعم .. "اوليفر" .

جزيرة "نيجر" . لقد تذكرت بعض الاشياء التي قراتها في الصحف عن جزيرة "نيجر" . اشياء عن ممثلة سينما . او عن مليونير امريكي .

إن مثل هذه الاماكن رخيصة بالتاكيد . فالجزر لا تلائم كثيراً من الناس .

وقالت "إميلي برنت" لنفسها "ساقضي إجازة مجانية على كل حال" .

وتذكرت عطلة الصيف في العام الماضي ، وعلى كل حال فإن عطلة هذا العام ستكون مختلفة تماماً في جزيرة "نيجر" .

اخذت تستعيد في ذهنها الخطاب الذي كانت قد قراته عدة مرات من قبل .

- عزيزتي الآنسة "برنت" .

ارجو ان تكوني ما زلت تذكرينني ؟ لقد كنا معاً في منزل ضيافة في "سيكلهافن" في شهر اغسطس (آب) منذ عدة سنوات مضت حيث كنا نشترك في كثير من الميول .

إنني اشرع في إقامة منزل ضيافة خاص بي في جزيرة بالقرب من شاطئ "ديفون" ، اعتقد انه من الضروري إيجاد مكان فيه طعام بسيط جيد وفريق من الناس من الطراز العتيق ، مكان لا يوجد فيه تلك المنغصات ومكبرات الصوت التي تدار في منتصف الليل . ساكون سعيدة لو امكنك ان تقضي بعضاً من عطلة الصيف في جزيرة "نيجر" كضيفتي دون تحمل اية نفقات ، هل يناسبك اوائل اغسطس (آب) ؟ الثامن منه مثلاً ؟

المخلصة ي . ن . و .

ما هو اسمها ؟ كان من الصعب قراءة التوقيع وفكرت "إميلي برنت" بصبر نافد :

الكثير من الناس يوقعون بطريقة لا يمكن فهمها .

واخذت تستعيد في ذاكرتها الناس الذين التقت بهم في "سيكلهافن" . لقد امضيت هناك عطلتي صيف متتاليتين كانت هناك تلك السيدة اللطيفة التي

نظر الجنرال "مكارثر" من نافذة القطار بينما كان يدخل "اكستر" حيث كان عليه ان يستقل قطاراً غيره . لعنة الله على تلك القطارات الفرعية البطيئة .

لم يكن واضحاً له من يكون مستر "اوين" هذا .. لابد ان يكون واحداً من اصدقاء كل من "سبون ليجارد" و"جوني دابر" إن واحداً او اثنين من اصدقائه القدامى سيحضرون وسيسعدهم أن يتحدثوا معك عن الأيام الخالية .

حسنا ، سيسعده هو الآخر ان يتحدث عن الأيام الخالية .. لقد بدا يتوهم اخيرا ان اصدقاءه القدامى يشعرون بالخجل منه كل هذا بسبب تلك الشائعة الملعونة . يالله لقد كان قاسياً . منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً لقد تكلم "ارميتاج" عن الموضوع فيما يعتقد . لعنة الله على الجرو الصغير .. ما الذي نعلمه عن هذا الموضوع ؟ حسن . إن التفكير في هذا الأمر لن يفيده ، إن المرء ليحتمل اشياء وهمية في بعض الاحيان يتخيل مثلاً ان شخصاً ما يتفحصه باهتمام .

إنه لمتشوق الآن لرؤية هذه الجزيرة .. جزيرة "نيجر" . لقد ترامى حولها كثير من الشائعات . وضمن هذه الشائعات ان البحرية او الجيش او الطيران قد وضع يده عليها .

اما الذي بنى القصر عليها فهو تلك المليونير الامريكي الصغير "المر روبسون" . لقد انفق آلاف الجنيهات في بنائه كما قيل .

وها قد وصل إلى "اكستر" .. وعليه ان ينتظر ساعة اخرى وهو لا يريد

الانتظار .. إنه يريد الوصول إلى ..

- ٧ -

كان الدكتور "ارمسترونج" يقود سيارته من طراز "موريسر" في سهل "ساليزبوري" وقد نال منه التعب . إن للنجاح ضريبته . لقد مرت عليه ايام كان يقضيها جالساً في غرفة الكشف بعيادته - في شارع "هارتي" - المجهزة باحدث المعدات وافخرها .. ينتظر خلال الأيام الخالية نجاح مغامرته او فشلها.

حسن ، لقد نجحت كان محظوظاً وماهراً بالتاكيد ، كان ممتازاً في عمله .. ولكن هذا لم يكن كافياً لكي ينجح يجب ان يواتيك الحظ ايضاً .. وقد واتاه تشخيص دقيق .. ومريضات من الحافظات للجميل - ذوات مال ونفوذ - كي يرتفع صيته ! "يجب عليك ان تستشيري "ارمسترونج" . شاب صغير تماماً .. ولكنه ماهر للغاية . لقد عالج كل انواع الأمراض لسنوات عدة وفي كل مرة يتوصل إلى بيت الداء لتوه" .

ولقد وصل دكتور "ارمسترونج" إلى ما كان يبتغيه .. امتلا وقته بالعمل ولم يعد لديه كثير من الفراغ . ولهذا فقد كان مسروراً إذ يغادر لندن في هذا الصباح من شهر اغسطس - اب - في طريقه كي يقضي اياماً فوق جزيرة بالقرب من شاطئ "ديفون" . إنها لن تكون إجازة بالمعنى الدقيق لقد كان الخطاب الذي تلقاه غامضاً نوعاً ما ، ولكن "الشيك" الذي صحبه لم يكن غامضاً بالمرة . كان الأجر مرتفعاً . لابد ان آل "اوينز" يتمرغون في الأموال - كان يبدو ان هناك بعض الصعوبات .. زوج قلق على صحة زوجته ويريد تقريراً عنها دون علمها ، إنها لا تقبل فكرة عرض نفسها على طبيب .. إن اعصابها..

اعصابها ! . وارتفع حاجبا الطبيب . يالتلك النسوة باعصابهن المتعبة دائماً!. حسن ، إنه لعمل مريح على كل حال . إن نصف النساء اللائي يستشرنه ليس بهن سوى الملل ، ولكنهن لن يشكرن لك إخبارهن بهذا . ويستطيع المرء ان يجد لهن علة ما .

كان من حسن حظه أن استطاع ان يجمع شتات نفسه بعد ذلك العمل . منذ عشرة .. لا . بل منذ خمسة عشر عاماً . لقد كاد ان يحطمه . ولكن الصدمة

اعادت إليه تماسكه . كان قد اقلع عن الشراب كلية . يا لله . لقد كانت الهوة قريبة جداً ، رغم ..

ومرقت إلى جواره سيارة بسرعة ١٣٠ كم في الساعة وهي تطلق بوقها بصورة مزعجة . وكاد دكتور "ارمسترونج" ينحرف إلى المستنقع . لابد انه احد هؤلاء المجانين الصغار الذين يذرعون الريف بسرعة مخيفة . لشد ما يكرههم .

- ٨ -

فكر "توني مارستون" وهو يمرق بسيارته خلال بلدة "مير" قائلا :

- إن عدد السيارات التي تزحف على الطريق كبير جداً . كثيراً ما تجد شيئاً يسد الطريق امامك . إن مسالة القيادة في "إنجلترا" تثير الشفقة . ليس الأمر هنا كما في "فرنسا" حيث يمكنك ان تطلق العنان لنفسك .

هل يمكنه ان يتوقف ليتناول كاساً ، ام يمضي في طريقه ، لا يزال امامه الكثير من الوقت ، ليس امامه سوى ١٦٠ كم اخرى او اكثر قليلاً . من المستحسن ان يتناول كاساً من الشراب : يا له من يوم حار .

لو ان الجو استمر هكذا فستكون تلك الجزيرة متعة رائعة . من يكون آل "اوينز" هؤلاء ؟ . من المحتمل انهم قوم اغنياء بخلاء . لقد كان "بادجر" ذا فراسة في تشمم مثل هؤلاء القوم لاول وهلة . بالتاكيد كان يجب ان يكون كذلك نظراً لعدم امتلاكه اية اموال.

وبعد ان خرج من المشرب تمطى وتثاءب ثم صعد إلى سيارته . ورمقته العديد من النساء بنظرات الإعجاب .. قوامه الممشوق الفارع ، وشعره الناعم ووجهه الجميل وعيناه الزرقاوان .

- ٩ -

كان مستر "بلور" يستقل القطار البطيء الذي يقوم من "بليموث" ولم يكن في العربة سوى راكب آخر كبير اعمش ، عليه سيماء البحر . وفي هذه اللحظة كان قد اخلد للنعاس .

وكان مستر "بلور" يدون شيئاً في مذكرته باهتمام .

وغمغم لنفسه قائلاً :

- هذه قائمة بالمجموعة .. "إميلي برنت" ، "فيراكليثون" ، دكتور "ارمسترونج" "جستيس وارجريف" العجوز ، "فيليب لومبارد" ، جنرال "مكارثر" ، "س.م.ج" ، "د.س.و" ، خادم وزوجته وهما آل "روجرز" .
واغلق مذكرته واعادها إلى جيبه . ونظر بطرف عينيه إلى الرجل النائم . وبينما كان يتفحص نفسه بدقة في مرآة القطار غمغم لنفسه قائلاً :
إنني ابدو كما لو كنت "ميجور" . آه لقد نسيت ، هنالك ذلك الجندي وقد يفطن إلى حقيقتي على الفور . جنوب إفريقيا . هذا هو موطني . ليس لأحد من هؤلاء القوم اية علاقة بجنوب إفريقيا . لقد فرغت لتوي من قراءة كتاب بشانها فيمكنني ان اتحدث عنها دون خطا .
ولحسن الحظ يوجد الكثير من رجال المستعمرات . واحس مستر "بلور" انه يمكنه أن يدخل زمرة المجتمع الراقي كرجل ثري قادم من جنوب إفريقيا .
"جزيرة نيجر" .. صخور ذات رائحة مميزة مغطاة بالاعشاب على بعد ميل واحد من الشاطئ ، ولقد اطلق عليها هذا الاسم لمشابهتها لراس رجل ذي شفتين زنجيتين .
يا لها من فكرة مضحكة ان يقام بيت عليها . سيكون مزعجاً في الأجواء الرديئة ولكن لذوي الثراء نزواتهم .
واستيقظ العجوز النائم وقال :
- لا يمكنك التنبؤ في البحر على الإطلاق .
وقال مستر "بلور" مهدئاً :
- هذا حقيقي ، لا يمكنك .
واصيب الهرم "بالشهقة" مرتين ثم قال :
- هناك دوامة تقترب .
فقال مستر "بلور" .
- كلا يا رفيقي ، إنه ليوم جميل .
فقال الهرم بغضب :
- هناك دوامة تقترب .. يمكنني ان اتنسمها .
فقال مستر "بلور" بهدوء :
- ربما تكون على صواب .
وتوقف القطار عند إحدى المحطات فوقف الهرم بثبات وقال :

- سانزل هنا ..
وساعده مستر "بلور" .. وتوقف الهرم بالباب ورفع يده وهو يقول بصوت رخيم :
- ترقب وادع الله .. ترقب وادع الله .. إن يوم الحساب على الأبواب .
ونزل إلى رصيف المحطة ونظر إلى مستر "بلور" بعظمة وقال :
- إنني اخاطبك ايها الشاب . إن يوم الحساب لجد قريب .
وفكر مستر "بلور" وهو يعود إلى مقعده .
- إنه لاقرب مني إلى يوم الحساب .
ولكنه كان مخطئاً كما اثبتت الأحداث .

الفصل الثاني

- ١ -

وقفت مجموعة صغيرة من الناس خارج محطة "اوكسبريدج" في تردد قصير . وخلفهم وقف الحمالون حول حقائب السفر .. وصاح احد هؤلاء الحمالين قائلاً:

- "جيم" ..

وخطا أحد سائقي عربات الأجرة إلى الأمام على التو .

وتساءل السائق بلهجة ابناء "ديفون" :

- انتم تقصدون جزيرة "نيجر" على ما اظن ؟

وبادرت اربعة اصوات تجيب بالإيجاب .. وبعدها على الفور اخذ بعضهم يتفحص البعض في ريبة .

وقال السائق موجهاً الكلام إلى مستر "جستيس وارجريف" بصفته أكبر الموجودين سناً .

- هنا سيارتان يا سيدي ، ويجب ان تنتظر إحداهما وصول القطار البطيء القادم من "إكستر" وسيصل بعد خمس دقائق يقل سيداً آخر . من المحتمل الا يضير احدكم الانتظار . سيكون في هذا راحة اكثر لكم .

وتكلمت "فيرا كليثون" على الفور مدفوعة بشعورها بوصفها سكرتيرة ، قائلة:

- انا سانتظر إذا فضلتم انتم الرحيل .

وتفحصت الثلاثة الآخرين بنظرها . كان في صوتها ونظرتها ذلك المعنى الذي ورثته من شغلها لوظيفة ذات حيثية . لقد اعتادت أن تدبر كل مباريات التنس التي كانت تلعبها طالباتها.

وقالت الآنسة "برنت" بخشونة :

- شكراً ..

ثم احنت رأسها ودخلت إحدى سيارتي الأجرة حيث كان السائق يمسك لها الباب مفتوحا .

وتبعها مستر "جستيس وارجريف" .

وقال كابتن "لومبارد" :

- اما انا فسانتظر مع الآنسة ..

- "كليثون" ..

- وانا اسمي "لومبارد" ، "فيليب لومبارد" .

وبينما كان الحمالون يضعون المتاع في السيارة الأجرة قال مستر "جستيس وارجريف" بحذر قانوني :

- إن الجو لجميل اليوم .

فقالت الآنسة "برنت" :

- نعم .. بالتاكيد ..

وفكرت في نفسها بان رفيقها رجل عجوز محترم للغاية ليس على طراز احد من نزلاء منازل الضيافة على شاطئ البحر . من الواضح أن الآنسة او السيدة "اوليفر" لها معارف محترمون ..

وتساءل مستر "جستيس وارجريف" قائلاً :

- هل تعرفين هذه البقعة من المعمورة جيداً ؟

- لقد سبق لي زيارة "كورنول" و"توركواي" ، إلا ان هذه هي اول مرة احضر فيها إلى "ديفون" .

فقال القاضي :

- وانا كذلك ليس لي سابق معرفة بهذا المكان .

وتحركت سيارة الأجرة .

وقال سائق السيارة الأخرى .

- هل تحبان ان تستريحا في اثناء الانتظار ؟

فقالت "فيرا" مؤكدة :

- لا على الإطلاق .

وابتسم كابتن "لومبارد" وهو يقول :

- إن هذا الجدار المشمس يبدو جذاباً . إلا إذا كنت تفضلين الدخول إلى المحطة .

- كلا بالمرة ، إنه لمن الممتع ان يخرج المرء من ذلك القطار المعتم.

- نعم ، إن السفر بالقطارات مرهق للغاية في هذا الجو .

- إنني ارجو ان يستمر هكذا .. اقصد الجو . إن الصيف في انجلترا لخداع .

- هل تعرفين هذا المكان ؟ .
- لا ، لم يسبق لي الحضور إلى هنا بالمرة .
ثم اضافت - في سرعة عجيبة - توضيحاً لموقفها .
- إنني لم أر حتى مخدومتي .
- مخدومتك ؟ .
- نعم ، إنني سكرتيرة مسز "اوين" ..
- اه ، فهمت .
وتغيرت لهجته ... اصبحت اكثر ثقة وسلاسة وهو يضيف !
- او ليس هذا غريباً بعض الشيء ؟ .
وضحكت "فيرا" وهي تقول :
- لا اعتقد هذا . لقد مرضت سكرتيرتها الخاصة فجاة فابرقت إلى مكتب العمل تطلب بديلاً لها فارسلوني إليها .
- وهكذا تم الأمر إذن .. واعتقد انك لن تحبي العمل عندما تصلين إلى هناك؟.
وضحكت "فيرا" مرة ثانية وقالت :
- إنه عمل مؤقت .. وظيفة في العطلة . إن لدي عملاً دائماً في إحدى مدارس البنات . في الواقع ، إنني اهاب رؤية جزيرة "نيجر" . كان هناك الكثير من اللغو عنها في الصحف مؤخراً . اهي رائعة حقاً ؟ .
فقال "لومبارد" :
- لا ادري . لم يسبق لي رؤيتها .
- حقا ؟ إن ال "اوين" مغرمون بها للغاية على ما اعتقد . كيف يبدون ؟ اخبرني من فضلك ..
وفكر "لومبارد" . هذا شيء محرج .. امن المفترض ان اكون قد قابلتهم ام لا؟ ثم قال بسرعة :
- هناك حشرة تزحف على ذراعك . لا . لا تتحركي .
ثم تظاهر بالإمساك بها وهو يقول :
- لقد امسكتها .
- شكراً . هناك كثير من الحشرات بسبب الحرارة .
- نعم إنها الحرارة على ما اعتقد . من تنتظرين ؟ هل عندك فكرة ؟

- ليست لدي اية فكرة ..
وللتو سمعا صوت صفير القطار يقترب . وقال "لومبارد" :
- ها هو ذا القطار قد وصل .
وخرج من باب المحطة رجل طويل طاعن في السن عليه سيماء العسكرية . كان شعره الرمادي مصففاً وشاربه الابيض مقصوصاً بعناية .
واشار الحمال وهو يترنح تحت الاثقال التي يحملها إلى "فيرا" و"لومبارد".
وتقدمت "فيرا" وهي تقول :
- إنني سكرتيرة مسز "اوين" هناك سيارة تنتظرنا . وهذا هو مستر "لومبارد" .
وتركزت العينان الزرقاوان الخابيتان على "لومبارد" . وللحظة بدا فيهما حكم ما .. هل قراه اي احد .. ؟
شخص حسن المنظر . ولكن فيه خطا ما ..
ودلف ثلاثتهم إلى السيارة المنتظرة . وسارت بهم السيارة في شوارع مدينة "اوكبريدج" الهادئة ، ثم استمرت تسير مسافة ثمانمائة متر على طريق "تليمون" الرئيسي ، وبعدها دلفت إلى شبكة من الطرق الريفية الضيقة.
وقال الجنرال "مكارثر" :
- إن هذا المكان لجميل حقاً . التلال ، والأرض الحمراء ، وكل شيء في اخضرار وانتعاش .
وقال "فيليب لومبارد" منتقداً :
- ولكنه غامض نوعاً ما . إنني شخصياً افضل الأماكن المتفتحة حيث يمكنك ان ترى ما يقترب منك ..
فقال له جنرال "مكارثر" :
- اعتقد انك رايت جزءاً من العالم .
فهز "لومبارد" كتفيه بلا مبالاة وقال :
- لقد ذهبت إلى بعض الأماكن يا سيدي .
وقال لنفسه : "سيسالني الآن عما إذا كنت كبيراً في السن بحيث تمكنت من الاشتراك في الحرب ام لا ، هؤلاء الكبار دائماً يلقون بهذا السؤال" .

ولكن الجنرال "مكارثر" لم يذكر شيئاً عن الحرب .

- ٢ -

ووصلوا إلى تل منحدر من ورائه طريق متعرج قادهم إلى مدينة "سيكلهافن" وهي عبارة عن مجموعة من الاكواخ وقارب للصيد وآخرين راسين فوق الرمال.

ومن هناك ، وقع نظرهم لاول مرة على جزيرة "نيجر" التي كانت واضحة تحت اشعة الشمس .

وقالت "فيرا" بدهشة :

- إن الطريق لبعيد .

وخارج خان صغير يدعى "خان النجوم السبعة" كان يقف ثلاثة اشخاص . كانوا هم الثلاثة الذين سبقوهم في السيارة الأخرى .

- ظننا انه من الأفضل ان ننتظركم هنا لكي نرحل معاً .. اسمحوا لي أن اقدم نفسي .. اسمي "دافيس" .. من مواليد جنوب إفريقيا .

ثم ضحك بغلظة .

ونظر إليه القاضي بضيق .. كان يبدو وكانه يتمنى ان يامر بإخلاء قاعة المحكمة . اما الآنسة "إميلي" فلم تكن قد قطعت برايها بعد فيما إذا كانت تحب رجال الجيش ام لا .

وتساءل مستر "دافيس" بكرم :

- هل يود احدكم تناول قليل من الشراب قبل أن نشرع في الرحيل ؟ .

ولما لم يتقبل احد منهم دعوته استشار ورفع إصبعه وهو يقول :

- لا داعي إذن للتاخر . فإن مضيفينا الكريمين في انتظارنا .

ولابد انه قد لاحظ ان ضيقاً غريباً قد حل على بقية الموجودين، وكان ذكر مضيفهم قد احدث تاثيراً غريبا على الضيوف .

وتقدم رجل كان يستند إلى جدار قريب .. استجابة لإشارة إصبع "دافيس" وكان منظره يوحي بانه من رجال البحر . وقال لهم بلجهته المحلية :

- هل انتم مستعدون للرحيل إلى الجزيرة سيداتي وسادتي ؟ إن القارب في انتظاركم ، هناك سيدان سيحضران بسيارتيهما ولكن اوامر مستر "اوين" تقضي بالا ننتظرهما ، إذ إن موعد وصولهما ليس محدداً .

ونهض افراد الجماعة من مجلسهم . وقادهم البحار إلى مرسى صخري صغير يقف إلى جواره قارب بخاري .

وقالت "إميلي برنت" :

- ولكن هذا القارب صغير جداً .

وقال البحار بإغراء :

- إلا انه قارب رائع يا سيدتي ، إنه ينقلك إلى "بيلموث" في غمضة عين .

وقال مستر "جستيس وارجريف" بحدة :

- إن عددنا كبير بالنسبة لمثل هذا القارب .

- إنه يتسع لضعف عددكم يا سيدي .

وقال "فيليب لومبارد" بصوته المرح السلس :

- لا باس به بالمرة .. الجو رائع . ولا تهب اية ريح شديدة .

وسمحت الآنسة "برنت" له بمساعدتها على النزول إلى القارب والشك يملأ قلبها ، وتبعها الآخرون في الحال .

وكانوا يوشكون ان ينطلقوا عندما توقف الملاح وهو ممسك بالمرساة في يده فقد اقبلت سيارة قوية ورائعة الجمال عبر الطريق المنحدر . وإلى عجلة القيادة كان يجلس شاب صغير وقد عبث الهواء بخصلات شعره . وفي ضوء الغسق بدا الشاب كاحد آلهة الشمال اكثر مما كان يبدو كرجل من بني البشر .

وضغط على بوق سيارته فرددت صخور الخليج صدى صوته .. كانت لحظة خيالية . وفي اثنائها بدا "انتوني مارستون" اقرب إلى الموت منه إلى الحياة . ولقد تذكر كثير من اعضاء الرحلة هذه اللحظة فيما بعد .

- ٣ -

اخذ "فريد ناركوت" وهو يجلس إلى محرك القارب يحملق في هذه المجموعة الغريبة . لم يكن يتوقع البتة ان يكون ضيوف مستر "اوين" على هذه الشاكلة . كان يتوقع ان يكونوا رجالاً ونساء اكثر تشابها ، حسني الهندام في ملابس بحرية ، ذوي ثراء واهمية .

إنهم لا يبدون بالمرة على شاكلة ضيوف مستر "المريويسون". وارتسمت على وجه "فريد ناركوت" ابتسامة غيظ وهو يتذكر ضيوف المليونير .. هؤلاء

هم الضيوف وإلا فلا .. يالجودة الشراب الذي كانوا يتناولونه .

ولكن يبدو ان مستر "اوين" من طراز مختلف من الناس . وفكر "فريد" في انه من العجيب الا تقع عليه عينه حتى الآن . كلا .. لم يحضر بعد . كل شيء ينظم وتدفع تكاليفه عن طريق مستر "توريس" . ودائماً تكون التعليمات واضحة للغاية والدفع فورياً، ورغم ذلك فإن الأمر يبدو غريباً . ولقد ذكرت الصحف ان هناك سراً في مسالة مستر "اوين" . وإنه ليوافقها على هذا الظن.

وربما تكون الآنسة "جابريل تيرل" هي التي اشترت الجزيرة .. ولكن هذه الفكرة تبخرت من راسه وهو يتفحص الضيوف . ليسوا هؤلاء .. لايبدو على احد منهم ان له صلة بنجمة سينمائية .

عانس عجوز من النوع العصبي . إنه يعرفهن جيداً .. ورجل عسكري كهل ذو مظهر عسكري قح . وسيدة لطيفة ولكنها من النوع العادي .. ليس هناك (بهرجة) في مظهرها وليس فيها لمسة واحدة من هوليوود . وهذا السيد المرح السمين .. لا يبدو عليه انه سيد من الطبقة الراقية .. لابد انه تاجر متقاعد .. اما السيد الآخر .. ذلك السيد النحيف ذو المظهر الجائع والنظرة السريعة فإنه شخص غريب . من المحتمل ان يكون على علاقة ما بالعالم السينمائي .

لم يكن هناك سيد يبعث على الطمانينة سوى واحد فقط .. الراكب الأخير ، ذلك الذي وصل في سيارة "ويالها من سيارة لم ترَ مثلها مدينة "سيكلهافن" من قبل . لابد ان ثمنها يبلغ المئات والمئات" .. إنه من الطراز الحقيقي .. ولد في ميسرة . لو أن المجموعة كانت كلها على شاكلته ! .

لقد كانت العملية كلها غريبة .. غريبة جداً .

- ٤ -

واستدار القارب حول الصخرة . واخيراً ظهر المنزل للأنظار لقد كانت الناحية الجنوبية مختلفة تماماً . كانت تنحدر بيسر إلى البحر . وكان المنزل يقف مواجهاً للجنوب . منخفضاً ومربعاً ومن طراز حديث ذي نوافذ عريضة تسمح بدخول اكبر كمية ممكنة من الضوء .

منزل مثير .. منزل يحمل كل انواع الاحتمالات .

واوقف "فريد ناركوت" محرك القارب ، وتسلل القارب بخفة من خلال مرسى طبيعي وسط الصخور .

وقال "فيليب لومبارد" بحدة :

- لابد انه من الصعوبة بمكان ان نصل إلى هنا خلال العاصفة .

فرد عليه "فريد ناركوت" بمرح :

- لا يمكن الوصول إلى جزيرة "نيجر" خلال العاصفة . وقد يدوم الحال على هذا لمدة اسبوع او اكثر .

ووقف القارب إزاء الصخور .. وقفز "فريد نار كوت" إلى الشاطئ واخذ هو و"لومبارد" يساعدان الآخرين على النزول . وبعد ذلك قادهم إلى بعض السلالم المنحوتة في الصخور .

وقال الجنرال "مكارثر" :

- ها .. يا لها من بقعة جميلة ! .

ولكنه لم يشعر بالارتياح ، يا له من مكان لعين ! .

وعندما انتهت المجموعة من ارتقاء السلالم ووصلوا إلى شرفة في اعلاها، انتعشت معنوياتهم . وفي مدخل باب المنزل كان ينتظرهم ساق انيق طمانهم منظره الجاد . والمنزل نفسه كان جذاباً للغاية ، وكان المنظر من الشرفة رائعاً.

وتقدم الساقي إلى الأمام وهو ينحني انحناءة خفيفة .. كان رجلاً طويلاً هزيلاً ذا شعر اشيب ومظهر محترم .. وقال لهم :

- هلا تفضلتم من هذا الطريق ؟ .

وفي الردهة الفسيحة كان الشراب معداً .. صفوف من الزجاجات . وارتفعت معنويات "انتوني مارستون" قليلاً . كان يوشك ان يفكر في أن الذي يحدث إنما هو استعراض سخيف ليس من مقامه . ما الذي كان يفكر فيه "بارجر" الكهل عندما دعاه وسط هذه المجموعة . على كل حال كانت المشروبات على ما يرام .. ومعها كثير من الثلج .

* * *

ما الذي يقوله الساقي ؟

إن مستر "اوين" للأسف لن يستطيع لقياهم حتى الغد نظراً لتاخره في الوصول وكانت التعليمات ان يقدم لهم اي شيء يطلبونه .. هل يريدون

الذهاب إلى غرفهم ؟ . سيكون العشاء معداً في الثامنة تماماً .

وتبعت "فيرا" مسز "روجرز" إلى اعلى . كانت المراة قد فتحت باب غرفة في نهاية الممر فدخلت "فيرا" من خلاله غرفة نوم بديعة ذات نافذة عريضة تطل على البحر ونافذة اخرى ناحية الشرق واطلقت صيحة سرور سريعة ، بينما كانت مسز "روجرز" تقول :

– امل ان يكون هنا كل شيء تريدينه يا انستي ؟

ونظرت "فيرا" حولها . كانت حقائبها قد وصلت وافرغت محتوياتها . وفي احد جوانب الغرفة كان هناك باب يؤدي إلى حمام ازرق اللون .

وقالت "فيرا" بسرعة :

– نعم ، كل شيء موجود على ما اعتقد .

– إذا احتجت إلى شيء يا انستي فما عليك إلا ان تضغطي الجرس .

كان صوت مسز "روجرز" يبعث على الملل ، ونظرت إليها "فيرا" تتفحصها ، يا لها من امراة شاحبة كالاشباح . امراة ذات مظهر محترم للغاية وشعرها اسود مشدود خلف راسها وملابسها سوداء وكانت عيناها ذواتي لون فاتح تتحركان في كل الاتجاهات .

وفكرت "فيرا" .

– "إنها تبدو خائفة حتى من شبحها هي" .

نعم ، كانت هذه هي الحقيقة .. خائفة .

كانت تبدو كامراة تعيش في خوف ابدي .

وسرت رعدة خفيفة في ظهر "فيرا" . ما الذي كان يخيف المراة بحق السماء؟

وقالت بمرح :

– إنني سكرتيرة مسز "اوين" . اعتقد انك تعلمين هذا .

– كلا يا انسة ، إنني لا اعرف شيئاً . كل ما اعرفه هو قائمة باسماء الضيوف وغرفهم .

– الم تذكرني مسز "اوين" ؟

وارتجفت رموش مسز "روجرز" وهي تقول :

– إنني لم ار مسز "اوين" حتى الآن . لقد حضرنا إلى هنا منذ يومين فقط .

"يا لآل "اوين" من قوم غرباء" .. هكذا فكرت "فيرا" .. ثم قالت بصوت مرتفع:

– من هم الذين يعملون في هذا المنزل ؟ .

– انا وزوجي يا انسة .

وقطبت "فيرا" . ثمانية اشخاص في المنزل بل عشرة إذا اضفنا إليهم مضيفتهم . كل هؤلاء يخدمهم اثنان فقط .

وقالت مسز "روجرز" :

– إنني طاهية وزوجي كفء في إدارة المنزل ، لم اكن اعرف بالتاكيد انه سيكون هنا هذا العدد الكبير من الضيوف .

– ولكن هل تقدران على إدارة المنزل ؟ .

– بالتاكيد يا انستي ، إذا حدث وكانت هناك حفلات كبيرة فلابد أن مسز "اوين" ستستعين بخدم إضافيين .

– اعتقد هذا .

واستدارت مسز "روجرز" لتنصرف ، كانت قدماها تتحركان على الأرض دون صوت وخرجت من الغرفة كشبح .

ومضت "فيرا" إلى النافذة وجلست إلى مقعد بجوارها ، كانت متوترة شيئاً ما . كل شيء يبدو غريباً على نحو ما . غياب آل "اوين" ، مسز "روجز" الشاحبة التي كانت تبدو كالاشباح ، والضيوف .. نعم إن الضيوف هم الآخرون غرباء ، إنهم مجموعة غريبة التكوين .

وفكرت فيها :

– "اتمنى لو كنت قد التقيت بآل "اوين" ، اتمنى لو اعرف كيف يبدون" .

ثم نهضت واخذت تدور في الحجرة ..

غرفة مثالية مزخرفة على احدث طراز .. قطع السجاد الأبيض تغطي الأرض الباركيه اللامعة ، حوائط مدهونة بالوان قاتمة ، ومراة طويلة تحيط بها الاضواء، ورف خال إلا من تمثال رخامي لدب وقطعة من النحت الحديث تحتوي على ساعة ، وفوقها رقعة مستديرة في إطار جميل تحتوي على قصيدة .

"ذهب عشرة اطفال للعشاء .

وغص احدهم ومات فلم يبق منهم سوى تسعة .

وسهر تسعة اطفال إلى وقت متاخر .

ونعس واحد منهم فلم يبق سوى ثمانية .

ثمانية اطفال يرحلون إلى "ديفون" .

وقال واحد منهم إنه سيبقى فلم يعد هناك سوى سبعة .
سبعة أطفال يشذبون العصي .
ومات واحد منهم فلم يبق سوى ستة .
ستة أطفال يلعبون في خلية نحل .
ولدغ زنبور واحداً منهم فلم يبق سوى خمسة .
وذهب خمسة أطفال إلى المحكمة .
وحجز واحد منهم في "سن تشانزي" فلم يبق سوى اربعة .
اربعة أطفال يمضون إلى البحر .
وابتلع حوت أحمر واحداً منهم فلم يبق سوى ثلاثة .
ثلاثة أطفال ذاهبون إلى حديقة الحيوان .
واغتال الدب الكبير أحدهم فلم يبق سوى اثنين .
طفلان يجلسان في الشمس .
وحرقت الشمس أحدهما فلم يبق سوى واحد .
طفل بقي وحيداً .
فشنق نفسه فلم يعد هناك أحد .

وابتسمت "فيرا" . بالتأكيد .. إننا في جزيرة "نيجر" !!

وعادت تجلس إلى النافذة وتنظر إلى البحر .

ويا له من بحر عريض . من هنا لا يمكن رؤية الشاطئ الآخر . لا شيء سوى مياه زرقاء تلمع تحت أشعة الغروب .

البحر .. هادئ للغاية اليوم .. في بعض الأحيان يكون قاسياً..

البحر الذي جرك إلى أعماقه . غرقت . وجدت غريقة .. في البحر .. غرقت .. غرقت .. غرقت ..

كلا . يجب ألا تتذكر . يجب ألا تفكر في الأمر .

لقد انتهى كل هذا ..

- ٥ -

وصل الدكتور "ارمسترونج" إلى جزيرة "نيجر" في نفس اللحظة التي كانت الشمس فيها تختفي في البحر . وخلال الطريق كان قد تبادل الحديث مع البحار .. رجل إقليمي كان متحفزاً لمعرفة القليل عن هؤلاء الناس الذين

يملكون جزيرة "نيجر" . ولكن ذلك البحار "ناركوت" كان يبدو جاهلاً بهم لدرجة مثيرة .. أو ربما لم يكن على استعداد للحديث .

وهكذا تكلم الدكتور "ارمسترونج" بدلا من هذا عن الطقس والصيد .

كان متعباً بعد قيادته السيارة لمسافة طويلة .. كانت حدقتاه تؤلمانه . إن القيادة تجاه الغرب تعني القيادة ضد اتجاه الشمس .

نعم ، كان متعباً جداً ، البحر والهدوء التام .. هذا هو كل ما يحتاج إليه . إنه يود قطعاً الحصول على إجازة طويلة ، ولكنه لم يكن يستطيع الابتعاد عن مرضاه . إن الإنسان سرعان ما يطويه النسيان هذه الأيام . وفكر قائلاً لنفسه:

- "وعلى كل حال فعلي هذا المساء أن أتخيل أنني لن أعود وأنني قد هجرت لندن وشارع "هارلي" وكل ما يتعلق به .

إن هناك أشياء خيالية حول الجزر .. إن كلمة جزيرة نفسها تثير الخيال ، هناك تفقد الاتصال بالعالم . فالجزيرة عالم مستقل .عالم من المحتمل ألا تعود منه .

وعاد يفكر قائلاً لنفسه : "إنني اترك خلفي حياتي العادية" .

وابتسم وأخذ يرسم لنفسه خططاً خيالية للمستقبل ، وكان لايزال يبتسم وهو يصعد الدرج الصخري .

ورأى في الشرفة سيداً كهلا يجلس على مقعد .كان شكل الرجل مألوفاً لدى الدكتور "ارمسترونج" . أين رأى وجه الضفدعة هذا وهذه الرقبة الشبيهة برقبة السلحفاة . وهاتين العينين الشاحبتين بالتأكيد . إنه "وارجريف" الكهل لقد أدى الشهادة أمامه يوماً ما . إنه غالبا مايبدو نصف نائم ولكنه دائماً ثاقب الفكر فيما يتصل بالقانون . كانت له سلطة كبيرة على المحلفين .. كان يقال إنه يستطيع أن يشكل أفكارهم في أي يوم من أيام الأسبوع وبعض الناس يسمونه قاضي الإعدام . ياله من مكان عجيب كي يلقاه المرء فيه . هنا .. بعيداً عن العالم..

- ٦ -

وفكر مستر "جستيس وارجريف" في نفسه !

"ارمسترونج" ؟ أذكره في مقعد الشهود . إنه لدقيق حذر .. كل الأطباء

مغفلون ملعونون ، واطباء شارع "هارلي" اكثرهم لعنة" .

ثم صاح بصوت عال :

- الشراب في الردهة .

فقال "ارمسترونج" :

- يجب ان اذهب لاحيي أصحاب المنزل .

فعاد مستر "جستيس وارجريف" إلى إغلاق عينيه وهو يقول :

- لن يمكنك ان تفعل هذا .

فبهت دكتور "ارمسترونج" !

- ولم لا ؟ .

- ليس هنا مضيف ولا مضيفة . شيء غريب ، لا استطيع ان افهم كنه هذا المكان .

وبهت دكتور "ارمسترونج" لحظة ، وعندما خيل إليه ان الرجل الكهل قد عاود نومه إذا بـ "وارجريف" يقول :

- هل تعرف "كونستانس كليمنجتون" ؟ .

- ااا .. لا ، إنني اخشى الا اكون قد عرفتها من قبل .

ليس لهذا اية اهمية . امراة غامضة للغاية . وخطها لا يمكن قراءته بالمرة . كنت اتساءل لتوي فيما إذا كنت قد اخطات المنزل المقصود .

وهز دكتور "ارمسترونج" راسه ودخل المنزل .

وفكر مستر "وارجريف" في موضوع "كونستانس كليمنجتون" هذه . إنها سيدة لا يمكن الاعتماد عليها بالمرة ..

وفكر في المراتين الاخريين الموجودتين في المنزل ، العانس مطبقة الفم والفتاة الاخرى .. لم تكن الفتاة تعنيه . تلك الفتاة الخبيثة الباردة .. كلا ، إنهن ثلاثة نساء .. إذا وضعنا مسز "روجرز" في الاعتبار . إنها مخلوقة غريبة ، تبدو كانها تكاد تموت من الخوف .

- هل تعرف ما إذا كان من المنتظر حضور ليدي "كونستانس كليمنجتون" ؟

فنظر إليه "روجرز" بدهشة قائلاً :

- لا يا سيدي فيما اعلم .

وارتفع حاجب القاضي وكاد يقول شيئاً ، لكنه غمغم فقط بصوت مبهم . وفكر قائلاً :

- "جزيرة نيجر" ! هه . هناك شخص في الدوامة .

* * *

كان "انتوني مارستون" ياخذ حماماً ممتعاً بالماء الساخن .. وكانت عضلات ذراعيه قد تصلبت من القيادة الطويلة ، ولم يتخلل راسه سوى القليل من الافكار .

لقد خلق "انتوني" للعمل وللمتعة .

وفكر "هل يجب علي أن امضي في الأمر ؟ اعتقد هذا" .. وبعد ذلك ابعد كل الخواطر عن راسه .

ماء دافئ وعضلات متعبة ، وبعد هذا يتناول مشروباً وبعده يتناول العشاء .

وبعد ذلك .. !

- ٧ -

كان مستر "بلور" يفك رباط عنقه ، لم يكن يجيد مثل هذا العمل، هل كان يبدو على ما يرام ؟ إنه يعتقد هذا .

لم يكن احد منهم ودودا معه .. كانت الطريقة التي اخذ كل منهم يرمق بها زميله مضحكة كما لو كانوا يعرفون ..

حسنا .. لقد كان الأمر يرجع إليه .

لم يكن ينوي ان يبخس عمله .

ورمق القصيدة الموضوعة فوق الرف .

إنها للمسة رائعة أن توضع هذه القصيدة في هذا المكان .

وفكر : "إنني اذكر جزيرة "نيجر" عندما كنت صبياً صغيراً . لم افكر ابداً ان اقوم بمثل هذا العمل في منزل هنا . ربما كان من الأفضل الا يحاول الإنسان تخيل مستقبله" .

- ٨ -

كان الجنرال "مكارثر" مقطب الوجه .

لعنة الله على الأمر كله ، ليس فيه ما كان قد توقعه .

كان يجب عليه ان يعتذر ويلقي بالأمر كله جانبا .

ولكن القارب البخاري قد عاد إلى مرساه الأول .
ومن الواجب عليه أن يبقى ..
إن "لومبارد" ، ذلك الشخص الغريب ، ليس صريحاً . إنه ليقسم بأن الرجل ليس صريحاً !!

- ٩ -

ما إن دق الجرس حتى خرج "فيليب لومبارد" من غرفته وسار إلى أول الدرج، كان يسير كفهد بخفة وبلا صوت ، كان فيه شيء من صفات الفهد . حيوان صيد . جميل ممتع للنظر .
كان يبتسم لنفسه .
- أسبوع ..
يجب أن يستمتع بهذا الأسبوع .

- ١٠ -

ارتدت الآنسة "إميلي برنت" في غرفتها ثوباً حريرياً أسود استعداداً لتناول العشاء ، ثم أخذت تحرك شفتيها وهي تقرأ من الإنجيل .
"وسقط الكفرة في الحفرة التي حفروها ، وسقطت أقدامهم في الشبكة التي وضعوها ، إن الرب ليعرف من أفعاله ، والشرير يعاقب من نفس أعماله ، وسيلقى الشرير في الجحيم" .
وأطبقت شفتيها بإحكام ، وأغلقت الإنجيل .

الفصل الثالث

- ١ -

كانوا يوشكون ان ينتهوا من تناول عشائهم .

كان الطعام جيداً والشراب رائعاً ، وقام "روجرز" بخدمتهم على خير وجه ..

كانت معنوياتهم كلهم في حالة احسن ، إذ بدءوا يتحدثون بعضهم إلى بعض في حرية والفة زائدتين .

وكان مستر "جيستيس وارجريف" وقد اسعده الشراب الرائع قد بدا يتكلم بحديث ساخر بينما يستمع إليه دكتور "ارمسترونج" و"انتوني مارستون" والآنسة "برنت" تثرثر مع الجنرال "مكارثر" بعد ان اكتشفا وجود معارف مشتركة لكليهما ، و"فيرا كليثون" توجه إلى مستر "دافيس" اسئلة ذكية بشأن جنوب إفريقيا ، وكان حديث مستر "دافيس" يدور حول هذا الموضوع دفاقاً ، فانصت إليه "لومبارد" .

وفجاة قال "انتوني مارستون" :

- إن هذه الأشياء لظريفة ، اليس كذلك ؟ .

وفي منتصف المائدة كانت توجد بعض التماثيل الخزفية فوق قاعدة مستديرة من الزجاج وقال "انتوني" :

- جزيرة "نيجر" . اعتقد ان هذا هو الرمز .

وانحنت "فيرا" إلى الأمام بينما قال "انتوني" :

- إنني اتساءل عن عددهم .. اهو عشرة ؟

وصاحت "فيرا" :

- يا للطرافة ! إنهم الأطفال العشرة الصغار المذكورون في القصيدة . على ما اعتقد ان القصيدة موضوعة داخل إطار فوق رف في غرفتي .

فقال "لومبارد" :

وفي غرفتي واحدة ايضاً .

- وانا كذلك .

- وانا كذلك .

وردد كل واحد منهم الجملة فقالت "فيرا" :

- إنها فكرة مسلية ، اليس كذلك ؟

وغمغم مستر "جستيس وارجريف" :

"حركة طفولية دون مراء" ثم تناول كاسا ونظرت "إميلي برنت" إلى "فيرا كليثون" ، ونظرت "فيرا كليثون" إلى "إميلي برنت" ونهضت الاثنتان من المائدة.

كانت النوافذ الكبيرة في غرفة الاستقبال مفتوحة ومطلة على شرفة بحيث يتناهى إلى الأسماع صوت تكسر أمواج البحر على الصخور ..

وقالت "إميلي برنت" :

- صوت جميل .

فقالت "فيرا" بحدة :

- إنني اكرهه .

فنظرت إليها "إميلي برنت" برهة فاحمر وجه "فيرا" ثم قالت في ثبات :

- لا اظن أن المكان سيكون مريحاً في أثناء العاصفة .

فوافقتها "إميلي برنت" على هذا قائلة :

- لا يخالجني اي شك في ان هذا المنزل يغلق في أثناء الشتاء . لا يمكن أن يعثر المرء على خدم يقبلون الإقامة فيه باي مقابل .

وغمغمت "فيرا" قائلة :

- قد يكون من الصعب العثور على خدم على كل حال .

- إن مسز "اوليفر" لمحظوظة إذ عثرت على هذين الطفلين ، إن الطاهية ممتازة .

وفكرت "فيرا" :

- من المضحك سماع الكبار وهم يخلطون بين الأسماء .

ثم قالت بصوت مرتفع :

- نعم ، اعتقد ان مسز "اوين" محظوظة حقاً .

وكانت "إميلي برنت" قد اخرجت من حقيبتها قطعة قماش للتطريز . وكانت توشك ان تضع خيط في إبرتها .

فتوقفت وقالت بحدة :

- "اوين" ؟ هل قلت "اوين" ؟

- نعم .

فقالت "إميلي برنت" بحدة :

- إنني لم اقابل طيلة حياتي من تدعى "اوين" .

فبهتت "فيرا" وقالت :

- ولكن بالتاكيد ..

ولم تكمل جملتها إذ فتح الباب وانضم إليهما الرجال ، وتبعهم "روجرز" إلى الغرفة وهو يحمل صينية عليها اقداح القهوة .

وجلس القاضي إلى جوار "إميلي برنت" بينما جلس "ارمسترونج" إلى جوار "فيرا" ، ومشى "انتوني" بتؤدة إلى النافذة المفتوحة . واخذ "بلور" يفحص باهتمام تمثالاً من النحاس ، ووقف الجنرال "مكارثر" مولياً ظهره إلى المدفاة وهو يشد اطراف شاربه . لقد كان العشاء ممتازاً للغاية ، كانت روحه منتعشة ، واخذ "لومبارد" يتفحص مجلة "بانش" الموضوعة ضمن صحف اخرى على المائدة .

واخذ "روجرز" يطوف عليهم بصينية ، كانت القهوة ممتازة .. بن كثيف وقهوة ساخنة جداً .

وكان كل من في المجموعة قد تناول عشاءه جيداً وقد بدءوا يستمتعون بالحياة . وكانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة والثلث .. وران الصمت صمت مروع.

وخلال هذا الصمت جاءهم "الصوت" وبدون إنذار تناهى إليهم صوت حاد غير إنساني يقول :

- سيداتي سادتي . الصمت من فضلكم .

وذهل كل منهم .. ونظروا بعضهم إلى بعض .. ثم إلى الحائط .. من الذي يتكلم ؟

واستمر الصوت يتحدث في نبرات واضحة عالية .

- إنكم متهمون بما يلي :

"إدوارد جورج ارمسترونج" . لقد تسببت في يوم ١٤ مارس ١٩٢٥ في موت "لويزا ماري كليس" .

"إميلي كارولين برنت" . انت مسؤولة عن مقتل "بياتريس تايلور" يوم ٥ نوفمبر ١٩٣١ .

"ويليام هنري بلور" .. لقد تسببت في مصرع "جيمس ستيفن لاندور" يوم ١٠ اكتوبر ١٩٢٨ .

"فيرا إليزابيت كليثون" .. لقد قتلت "سيريل اوجيلفيا هاملتون" يوم ١١ اغسطس ١٩٣٥ .

"فيليب لومبارد" انت متهم بقتل واحد وعشرين شخصاً من قبيلة في شرق إفريقيا في احد ايام شهر فبراير ١٩٣٢ .

"جون جوردون مكارثر" . إنك قتلت عمداً "ارثر ريتشموند" عشيق زوجتك يوم ١٤ يناير ١٩١٧ .

"انتوني جيمس مارستون" . انت متهم بقتل "جون" و"لدس كومبس" يوم ١٤ نوفمبر الماضي ..

"توماس روجرز" و"اتيل روجرز" .. لقد تسببتما في مقتل "جنيفر برادي" يوم ٦ مايو ١٩٢٩ .

"جستيس جون وارجريف" .. انت متهم بقتل "إدوارد ستون" يوم ١٠ يونيو ١٩٣٠ .

ايها المتهمون .. هل لديكم ما تدافعون به عن انفسكم ؟

– ٢ –

وتوقف الصوت .

وتلت ذلك لحظة من الصمت المشحون اعقبها صوت شيء يتحطم .. لقد اسقط "روجرز" صينية القهوة ، وفي نفس اللحظة، ومن مكان ما خارج الغرفة، تناهى إلى الأسماع صوت صرخة ومن ورائه صوت سقوط شخص على الأرض وكان "لومبارد" هو اول من تحرك ، إذ قفز إلى الباب وفتحه على مصراعيه ، وخارج الباب كانت ترقد مسز "روجرز" ملقاة على الأرض .

وصاح "لومبارد" :

– "مارستون" !

وقفز "انتوني" ليساعده وحملا المراة فيما بينهما وارقداها على اريكة في غرفة الاستقبال واسرع دكتور "ارمسترونج" إليهما وانحنى على المراة متفحصاً ، ثم قال مسرعاً :

– لا شيء هناك .. مجرد إغماء ، ستثوب إلى رشدها خلال دقائق .

وطلب "لومبارد" من "روجرز" ان يحضر قليلاً من الشراب .

وقال له "روجرز" ويداه ترتجفان وقد شحب وجهه :

– حالاً يا سيدي ..

وصاحت "فيرا" :

– من الذي كان يتكلم ؟ .. اين كان ؟ لقد كان يبدو . لقد كان يبدو ..

وانفجر الجنرال "مكارثر" :

– ما الذي يجري هنا ؟ . اي نوع من الدعابات هذا ؟ .

كانت يداه ترتجفان وقد تهدل كتفاه .. وبدا كما لو كان قد كبر عشر سنوات .

وكان "بلور" يجفف وجهه بمنديله .

ولم يبد على احد منهم عدم التاثر سوى القاضي و"إميلي برنت" . كانت "إميلي برنت" تجلس منتصبة وراسها مرفوع إلى اعلى وعلى كل من وجنتيها بقعة حمراء .

وجلس القاضي في وضعه المعتاد وقد اختفى راسه بين كتفيه ، وهو يعبث في إحدى اذنيه .

لم يكن نشيطاً فيه غير عينيه اللتين كانتا تتحركان في كل الاتجاهات بسرعة ويقظة .

ومرة ثانية بدا يتحرك "لومبارد" . كان "ارمسترونج" مشغولاً بالمراة المنهارة فاتاح ذلك لـ"لومبارد" ان يقوم بالمبادأة إذ قال :

– لقد بدا هذا الصوت كما لو انه يجيء من الغرفة .

وصاحت "فيرا" :

– من هو ؟ . من هو ؟ . إنه لم يكن واحداً منا .

واخذت عينا "لومبارد" تتحركان كعيني القاضي . واستقرتا دقيقة على النافذة المفتوحة ثم هز راسه مؤكداً وفجاة لمعت عيناه ، ومضى بخفة إلى باب بالقرب من المدفاة يؤدي إلى غرفة ملحقة .

وفي حركة سريعة ادار مقبض الباب وفتحه على مصراعيه . ومضى إلى الغرفة الاخرى وفي الحال اطلق صيحة ارتياح وقال:

– اه ، وجدتها

وتدافع الاخرون خلفه ، ولم يبق في مكانه سوى الآنسة "برنت" .

وفي داخل الغرفة كانت توجد مائدة قد حركت إلى جوار الحائط المشترك

مع غرفة الاستقبال وعلى هذه المائدة وضع مكبر صوت من طراز عتيق ذو بوق ضخم ، كانت فوهة البوق تواجه الحائط ولما ازاحها "لومبارد" اشار إلى ثقبين او ثلاثة محفورة في الحائط . واعاد الجرامفون إلى وضعه ووضع الإبرة على الاسطوانة فسمعوا الصوت يقول من جديد :

- إنكم متهمون بما يلي :

وصاحت "فيرا" :

- اسكته ..اسكته .. إنه فظيع .

واطاعها "لومبارد" .

وقال دكتور "ارمسترونج" وهو يتنهد بارتياح :

- إنها دعابة سمجة قاسية على ما اعتقد .

وغمغم مستر "جستيس وارجريف" بصوته الخافت الواضح :

- إذن فانت تعتقد انها دعابة ؟

وحملق الطبيب فيه قائلاً :

- واي شيء غير هذا يمكن ان تكون ؟ .

وربت القاضي بيده على فمه وهو يقول :

- لست مستعداً للإدلاء برايي في اللحظة الراهنة .

وانفجر "انتوني مارستون" قائلاً :

- استمعوا إليّ . لقد نسينا شيئاً . من الشيطان الذي ادار هذا الجهاز ؟

فغمغم "وارجريف" :

- نعم ، اعتقد انه يجب علينا ان نتقصى عن الفاعل .

وقادهم إلى غرفة الاستقبال .

كان "روجرز" قد حضر لتوه حاملاً زجاجة الشراب ، بينما انحنت الآنسة "برنت" على جسد مسز "روجرز" التي كانت لا تكف عن الأنين .

وبمهارة تدخل "روجرز" بين المراتين وهو يقول :

- اسمحي لي يا انستي ، ساتحدث إليها انا .

- "اثيل" .. "اثيل" كل شيء على ما يرام . اتسمعينني ، كل شيء على ما يرام . استجمعي شتات نفسك .

وتسارعت انفاس مسز "روجرز" .. واخذت حدقتاها المذعورتان تدوران حول الوجوه المحملقة حولها . وبدا الارتياح في صوت "روجرز" وهو يقول :

- استجمعي شتات نفسك يا "اثيل" .

وتحدث إليها دكتور "ارمسترونج" مهدئاً :

- ستكونين على ما يرام يا مسز "روجرز" . إنها دعابة قذرة .

فقالت له :

- هل اغمي عليّ يا سيدي ؟

- إنه الصوت .. الصوت المخيف .

وعاد لون وجهها إلى الاصفرار وارتجفت اهدابها .

فقال دكتور "ارمسترونج" :

- اين الشراب ؟

كان "روجرز" قد وضعه على مائدة مجاورة فناوله احدهم للطبيب فانحنى به على المراة اللاهثة وقال لها :

- اشربي يا مسز "روجرز" .

وشربت وهي تشهق وتلهث .. وافادها الشراب .. وعاد إليها لون وجهها .. وقالت :

- إنني بخير الآن .. لقد اصابني الذعر .

وقال "روجرز" :

- بالتاكيد . لقد اصبت انا ايضاً بذعر فاسقطت الصينية .

- هذا كذب ملعون .. كيف .. بودي لو اعرف .

وقوطع في كلامه .. قاطعته سعلة .. سعلة خشنة . اسكتته تماماً وحملق في مستر "جستيس وارجريف" فعاد الأخير إلى السعال ثم قال :

- من الذي ادار مكبر الصوت .. هل فعلتها انت يا "روجرز" ؟

فصاح "روجرز" :

- لم اكن اعرف كنه الأمر . اقسم بالله لم اكن اعرف ، لو كنت اعرفه لما كنت فعلت هذا بالمرة .

فقال القاضي بغلظة :

- من المحتمل ان تكون صادقاً ، ولكني اعتقد انه من المستحسن ان تفسر الامر يا "روجرز" .

وجفف الساقي وجهه بمنديله ثم قال بحرارة :

- لقد كنت اطيع الأوامر يا سيدي .. هذا هو كل ما هناك .

- اوامر من ؟
- اوامر مستر "اوين" .
- دعني استوضح الامر .. هل كانت اوامر مستر "اوين" ان ..؟
- ان اضع الاسطوانة في مكبر الصوت . لقد وجدت الاسطوانة في الدرج وكان على زوجتي ان تدير مكبر الصوت عندما ادخل إلى غرفة الاستقبال حاملاً صينية القهوة .
- قصة مثيرة جداً .
- إنها الحقيقة يا سيدي اقسم بالله إنها الحقيقة . لم اكن اعرف شيئاً . لم يخطر ببالي قط ان يحدث ما حدث . كان عليها اسم .. اعتقدت انها مجرد مقطوعة من الموسيقى .
ونظر "وارجريف" إلى "لومبارد" قائلاً :
- هل كانت تحمل عنوانا ؟
فهز "لومبارد" راسه بالإيجاب ثم ابتسم بغيظ كاشفاً عن اسنانه البارزة وقال:
- بالضبط يا سيدي .. إن اسمها اغنية البجعة .

- ٣ -

وانهار الجنرال "مكارثر" فجاة :
- إن الامر كله ... محال .. اتلقى التهم على الناس بهذا الشكل؟
يجب ان يفعل شيئاً ضد هذا الرجل "اوين" كائناً من كان ..
وقاطعته "إميلي برنت" محتدة بقولها :
- هذا هو لب الموضوع .. من هو "اوين" ؟ .
وتدخل القاضي متحدثاً باهتمام كالاهتمام الذي تعود عليه في اثناء مزاولته لعمله في المحاكم :
- هذا هو بالضبط ما يجب علينا ان نبحثه بدقة . اقترح ان تاخذ زوجتك إلى فراشها اولاً يا "روجرز" .. وبعدها عد إلينا .
- حسن يا سيدي .
فقال دكتور "ارمسترونج" :
- ساساعدك يا "روجرز" .

وغادرت مسز "روجرز" الغرفة مستندة إلى ذراعي الرجلين .. وعندما خرجوا قال "توني مارستون" :
- ليس لي علم بمزاجك يا سيدي ، ولكني لا استطيع المضي في هذا الامر بدون شراب .
فقال "لومبارد" :
- وانا كذلك .
فقال "توني" :
- ساذهب واعد الشراب .
وغادر الغرفة .
وعاد بعد دقيقة او اثنتين .. وقال :
- لقد وجدتها كلها معدة على صينية استعداداً لإحضارها إلى هنا .
ووضع حمله الثمين بعناية . ومرت الدقائق التالية في توزيع الشراب ..
واخذ الجنرال كاساً من العصير فقط وكذلك فعل القاضي . كان كل واحد من المجموعة يشعر بالحاجة إلى شيء منعش ، إلا "إميلي برنت" التي طلبت كوباً من الماء القراح .
وعاد "ارمسترونج" إلى الغرفة وقال :
- ستكون بخير ، لقد اعطيتها منوماً . ما هذا ؟ شراب ؟ اود تناول شيء منه.
واعاد كثير من الرجال ملء كؤوسهم ، وبعد دقائق عاد "روجرز" إلى الغرفة.
وتصدر مستر "جستيس وارجريف" المناقشة .. واصبحت الغرفة كقاعة محكمة .
وقال القاضي :
- والآن يا "روجرز" .. يجب ان نصل إلى جوهر الامر . من مستر "اوين" هذا؟
وحملق "روجرز" ثم قال :
- إنه مالك هذا المكان ياسيدي .
- إنني مدرك لهذه الحقيقة .. إن ما اريد معرفته منك هو كل ما لديك من معلومات عن هذا الرجل ..
وهز "روجرز" راسه وقال :

- لا يمكنني ان اخبرك بشيء يا سيدي .. إنه لم يسبق لي ان وقعت عيناي عليه .

وسرت حركة خافتة في الغرفة .

وقال الجنرال "مكارثر" :

- الم يسبق لك رؤيته ؟ ماذا تعني بهذا ؟ .

- لم يمض عليّ انا وزوجتي هنا اكثر من اسبوع يا سيدي . لقد استخدمنا عن طريق خطاب ، عن طريق وكالة تخديم وكالة "ريجينا" في "بليموث" .

واوما "بلور" مؤكداً وقال :

- وكالة قديمة العهد .

وقال "وارجريف" : - هل لديك هذا الخطاب ؟ .

- تعني خطاب تشغيلنا ؟ .. لا يا سيدي .. لم احتفظ به .

- امض في قصتك . لقد استخدمت كما تقول بواسطة خطاب .

- نعم يا سيدي . كان علينا ان نصل إلى هنا في يوم معين .. فوصلنا ، وكان كل شيء منظماً ، كميات كبيرة من الطعام في المخزن وكل شيء على خير ما يرام . لم يكن المنزل محتاجاً إلا إلى إزالة اتربته .

- ثم ماذا ؟

- لا شيء يا سيدي . لقد تلقينا الامر بالخطابات كي نعد المنزل من اجل حفل عائلي .. وفي بريد الامس تلقينا خطاباً من مستر "اوين" . وجاء في الخطاب انه وزوجته قد تعطلا وسيفعلان كل ما بوسعهما للحضور .. كما اعطانا بعض التعليمات بخصوص الطعام والقهوة وتشغيل اسطوانة الجرامفون .

وقال القاضي بحدة :

- بالتاكيد لا يزال لديك هذا الخطاب .

- نعم يا سيدي إنه معي الآن .

واخرج خطاباً من جيبه فاخذه القاضي منه وهمهم قائلاً :

- مكتوب على اوراق فندق "ريتز" ، وعلى الآلة الكاتبة .

وبحركة سريعة كان "بلور" قد اصبح إلى جواره ، وقال :

- لو سمحت لي بإلقاء نظرة على الخطاب .

واخذه من يده وجرى بنظرة عليه ثم قال :

- الة كاتبة من طراز "كورنيش" .. جديدة تماماً ليس بها اي عيب .. وورق خاص بالفندق .. من اكثر الانواع استعمالاً . لن نستطيع الوصول إلى اي شيء من الخطاب . وربما يمكن الحصول على بصمات الاصابع وإن كنت اشك في هذا .

وحملق "وارجريف" إليه باهتمام مفاجئ .

وقال "انتوني مارستون" واقفاً إلى جوار "بلور" ينظر من فوق كتفه ثم قال :

- في الخطاب اسماء كاملة وهمية ؟ اليس كذلك ؟ "اوليك فورمان اوين" ، اسم ضخم تماماً .

وقال القاضي الكهل بلا حماس :

- إنني شاكر لك يا مستر "مارستون" فقد لفت نظري إلى نقطة غريبة ومليئة بالاحتمالات .

ونظر إلى الآخرين وهو يبرز رقبته كسلحفاة غاضبة وقال :

- اعتقد ان الوقت قد حان كي يدلي كل منا بما لديه من معلومات ، من المستحسن على ما اعتقد ان يقول كل منا كل ما يعرفه عن صاحب المنزل .

وتوقف قليلاً ثم واصل حديثه قائلاً :

- كلنا ضيوف . اعتقد انه سيكون من المفيد ان يقول كل واحد منا كيف اصبح في هذا الوضع بالضبط .

وران الصمت لحظة ثم تكلمت "إميلي برنت" قائلة :

- هناك شيء ملحوظ في الامر كله . لقد تلقيت خطاباً من الصعب قراءة توقيع صاحبه وعرفت انه من سيدة قابلتها في مصيف معين منذ سنتين او ثلاث مضت . وانتهيت إلى ان الاسم إما ان يكون "اوليفر" او "ادجون" . إنني اعرف سيدة باسم مسز "اوليفر" واخرى تدعى الآنسة "ادجون" . وإنني لواثقة تماماً انه لم يسبق لي ان التقيت بصاحبته .

وقال القاضي :

- هل معك هذا الخطاب يا آنسة "برنت" ؟ .

- نعم وساحضره لك .

وغادرت الغرفة لتعود بعد دقيقة ومعها الخطاب . وقراه القاضي ثم قال :

- لقد بدات افهم .. وانت يا آنسة "كليثون" .

وشرحت له "فيرا" ظروف استخدامها كسكرتيرة .

فقال القاضي : - وانت يا "مارستون" ؟

- لقد تلقيت برقية من صديق لي يدعى "بادجر بيركلي" . ولقد دهشت وقتها لانني كنت اعتقد انه قد ذهب إلى "النرويج" . طلب مني ان احضر إلى هنا .

وهز القاضي راسه قائلاً :

- وانت يا "ارمسترونج" .

- لقد استدعيت إلى هنا كطبيب .

- هكذا . اي انك لم تكن على معرفة سابقة بالعائلة ؟

- كلا . لقد ذكر اسم صديق لي في الخطاب .

- للتمويه .. وهذا الصديق الا يمكن الاتصال به ؟

- حسن .. بلى .

فقال "لومبارد" الذي كان يحملق في "بلور" فجاة :

- انظروا .. لقد خطرت لي فكرة حالاً ..

فرفع القاضي يده وقال :

- انتظر دقيقة ..

- ولكنني ..

- سنتناول الأمور بالترتيب يا مستر "لومبارد" .. إننا حالياً نبحث في الأسباب التي ادت إلى تجمعنا هنا هذه الليلة .. وانت يا جنرال "مكارثر" .

وقال الجنرال وهو يعبث في شاربه :

- لقد تلقيت خطاباً .. من ذلك الرجل الذي يدعى "اوين" .. ذاكراً بعض اصدقائي القدامى الذين سيكونون هنا .. طالباً الصفح لعدم إرسال دعوة رسمية . واخشى الا اكون قد احتفظت بالخطاب .

- مستر "لومبارد" ..

كان عقل "لومبارد" نشطاً ، هل يعترف لهم بالحقيقة ام لا ؟ واستقر رايه على امر وقال :

- نفس الشيء ، دعوة والحديث عن اصدقاء قدامى ، وشعرت ان الأمر ليس به ما يزيد . لقد مزقت الخطاب .

واستدار مستر "وارجريف" إلى "بلور" واضعاً إصبعه على شفته وبدا صوته مؤدباً للغاية وهو يقول :

- لقد مررنا للتو بتجربة مؤلمة نوعاً ما . فلقد تكلم صوت مجهول لكل منا بالاسم سارداً اتهاما محدد لكل منا وسنناقش هذه الاتهامات حالاً . ولكن في هذه اللحظة توجد نقطة فرعية محيرة .. فضمن الأسماء التي نوديت كان اسم "ويليام هنري بلور" ولكن بقدر علمنا ليس بيننا من يدعى "بلور" . اما اسم (دافيس) فلم يجئ ذكره .. ما قولك في هذا يا مستر "دافيس" ؟

وقال "بلور" بعبوس :

- اعتقد انه من المستحسن ان اعترف بان اسمي ليس بـ "دافيس" .

- اي انك "ويليام هنري بلور" ؟

- هذا حسن .

وقال "لومبارد" :

- وساضيف شيئاً .. إنك لم تحضر إلى هنا تحت اسم مزيف فقط يامستر "بلور" ، ولكنني بالإضافة إلى هذا قد لاحظت هذا المساء انك كذاب من الطراز الأول . لقد ادعيت انك حضرت من "ناتال" بجنوب "إفريقيا" . إنني اعرف "ناتال" وجنوب "إفريقيا" وانا على استعداد لان اقسم بانك لم تضع قدميك في جنوب إفريقيا طيلة حياتك .

واتجهت كل الأعين إلى "بلور" .. عيون غاضبة ملؤها الشك . وخطا "انتوني مارستون" إلى جواره .. وتقلصت قبضتاه وقال :

- والآن ايها المحتال هل لديك اي تفسير ؟

وقال "بلور" :

- لقد اخطاتم في حقي ايها السادة .. لدي اوراق تثبت شخصيتي ويمكنكم رؤيتها ، إنني مخبر سابق وادير الآن وكالة خاصة في "بليموث" . لقد احضرت إلى هنا من اجل هذا العمل ..

فساله القاضي :

- من احضرك ؟

- ذلك الرجل "اوين" . وقد حوى خطابه مبلغاً محترماً من المال من اجل الاتعاب وتنفيذ ما يريد . كان علي ان انضم إلى الحفل بصفتي احد المدعوين. وقد اعطيت لي اسماؤكم كلها .. كان علي ان اراقبكم .

- وهل من سبب لهذا ؟

- من اجل جواهر مسز "اوين" . ولا اعتقد ان هناك من تحمل هذا الاسم.

ومرة أخرى عاد القاضي يربت بإصبعه على شفتيه مفكراً .

- إن حدسك صائب على ما أعتقد ".. أوليك نورمان أوين" .. في الخطاب إلى الآنسة "برنت" ، وعلى الرغم من أن الاسم الأخير ليس واضحاً إلا أن الاسمين الأولين واضحان .

"إدنانس" . وفي كلتا الحالتين يمكنكم أن تلحظوا أن الحروف الأولى واحدة . "أوليك نورمان أوين" ، و"إدنانس أوين" .. في كل مرة هناك أ. ن. أوين" وبتحريف ملحوظ ينتهي الاسم إلى المجهول ..

وصاحت "فيرا" :

- ولكن هذا أمر خيالي .. جنون ..

وأوما القاضي برأسه بهدوء وقال :

- بالتأكيد . ليس لدي أي شك في أن الذي دعانا إلى هذا المكان رجل مجنون ومن المحتمل أن يكون مجنوناً خطيراً .

الفصل الرابع

- ١ -

وساد الصمت لحظة . صمت الغضب والحيرة ، وبعدها عاد صوت القاضي الواضح يقول :

- سنمضي الآن إلى المرحلة التالية من التقصي . وعلى كل حال ساضيف اولاً الوالي بخصوص المرحلة السابقة .

واخرج من جيبه خطاباً القى به على المائدة .

- إنه خطاب من إحدى صديقاتي القديمات . ليدي "كونستانس كلينجتون" .. إنني لم ارها منذ سنوات خلت . لقد رحلت إلى الشرق . والخطاب الغامض هو بالضبط ما يمكن أن تكتبه لتستحثني فيه على أن القاها هنا ونتكلم عن مضيفنا باكثر الطرق غموضاً ، وهو نفس التكتيك . كما يمكننا أن نستنتج من كل هذا نقطة مهمة . فإن ذلك الذي دعانا للحضور إلى هنا قد كلف نفسه مشقة معرفة الكثير عنا .. إنه يعرف صداقتي بالليدي "كونستانس" وعلى دراية باسلوبها المميز . إنه يعرف شيئاً عن اصدقاء دكتور "ارمسترونج" وعن اماكنهم الآن . وهو يعرف اسم الشهرة لصديق مستر "مارستون" ونوع البرقيات التي يرسلها . وهو يعرف بالضبط أين كانت الآنسة "برنت" منذ سنتين مضتا ونوع الناس الذين التقت بهم ، وهو يعرف كل اصدقاء الجنرال "مكارثر" القدامى .

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم قال :

- إنه يعرف كما ترون الكثير جداً . ومن خلال معلوماته عنا كون اتهامات محددة .

وفي الحال تعالت غمغمات .

وصاح الجنرال "مكارثر" :

- مجموعة من الأكاذيب اللعينة .

وصاحت "فيرا" :

- إن هذا لجور .. يا للشقي .

وقال "روجرز" بغلظة :

- كذب ، كذب ملعون ، إننا لم نقدم على شيء من ذلك ولا اي واحد منا

تحدثه نفسه بذلك .

وقال "انتوني مارستون" :

- لا ادري ما الذي يرمي إليه ذلك المغفل اللعين .

واسكت القاضي الجميع بيده المرفوعة ، وقال وهو ينتقي كلماته بعناية :

- إنني ارغب في ان اقول ما يلي :

إن صديقنا المجهول يتهمني بقتل "إدوارد سيتون" .. إنني لاتذكر "سيتون" تماماً . لقد حوكم امامي في شهر يونيو عام ١٩٣٠ . كان متهماً بقتل سيدة عجوز وقد دوفع عنه بكفاءة وحاز الدفاع عنه تاثيراً حسناً لدى المحلفين . ورغم ذلك فلقد كانت الشواهد تدينه ولخصت القضية تبعاً للشواهد فادانه المحلفون . وعندما اصدرت حكمي بإعدامه كنت متفقاً في هذا مع المحلفين . وقدم طلباً بإلغاء الحكم بدعوى التوجيه السيئ ولكنه رفض واعدم المتهم بعدها ، واود ان اقول لكم إن ضميري مستريح فيما يخص هذه القضية . لقد اديت واجبي ولا شيء اكثر .. لقد اصدرت حكماً على مجرم ثبتت إدانته .

وبدا "ارمسترونج" يتذكر قضية "سيتون" .. لقد كانت الإدانة مفاجاة كبيرة . ولقد التقى بـ "ماثيوز" يوماً ما في اثناء تناول الغداء فقال له هذا :

"إنني واثق من الحكم ، إن الإفراج مؤكد تماماً" . وبعد سماع الحكم سمع تعليقات كثيرة ، لقد كان القاضي ضده على طول الخط وادار رؤوس المحلفين فادانوه . ورغم هذا فالحكم قانوني . إن "وارجريف" العجوز لخبير بالقانون . كان واضحاً تماماً ان هناك مسالة شخصية بينهما .

واندفعت كل هذه الذكريات إلى راس الطبيب . وقبل ان يزن حكمة قوله اندفع متسائلاً :

- هل كنت تعرف "سيتون" بالمرة ؟ اعني قبل القضية ؟ .

والتقت عيناه بعيني القاضي . الذي قال له بصوت بارد واضح :

- لم اكن اعرف شيئاً عن "سيتون" قبل ان احاكمه .

وقال "ارمسترونج" لنفسه :

- إن الرجل يكذب .. إنني اعرف انه يكذب .

- ٢ -

وتكلمت "فيرا كليثون" بصوت مرتجف قائلة :

- اود ان اخبركم بالحقيقة عن ذلك الطفل "سيريل هاملتون" . لقد كنت مربيته ، كان غير مسموح له بالسباحة بعيداً عن الشاطئ ، وذات يوم كنت شاردة اللب اسبح بعيداً . وسبحت خلفه ، ولكنني لم اتمكن من الوصول إليه في الوقت المناسب . لقد كان الامر فظيعاً ولكنها لم تكن غلطتي . لقد براتني المحكمة .. وامه .. لقد كانت غاية في الطيبة . وإذا كانت هي .. هي نفسها لم تلمني ، فلم يقال هذا الكلام المزعج ؟ ! هذا ليس عدلاً ، ليس عدلاً .

ثم انهارت وهي تبكي بمرارة .

وربت الجنرال "مكارثر" كتفها وقال :

- كفي ، كفي يا عزيزتي . بالتاكيد ليس هذا عدلاً . إن هذا الرجل لمجنون . مجنون .

ووقف منتصباً وقد فرد كتفيه وقال :

- من الأحسن الا نفكر في هذا الموضوع وعلى اي حال فإنني اشعر بانه يجب ان اقول إن كل ما قيل عن الشاب "ارثر ريتشموند" ليس بحقيقي ليس بحقيقي . لقد كان "ريتشموند" احد ضباط فرقتي . لقد ارسلته في مهمة ولكنه قتل فيها . حادث طبيعي وقت الحرب ، إنني لغاضب على كل ما قيل عن زوجتي . اشرف الزوجات في هذا العالم .

وجلس جنرال "مكارثر" وعادت يده المرتجفة تعبث بشاربه . لقد كلفه الكلام جهداً كبيراً .

وتكلم "لومبارد" ..

- اما عن هؤلاء الوطنيين .

فقال "مارستون" :

- ماذا عنهم .

- ما سارويه هو عين الحقيقة . لقد تركتهم . كان ذلك بدافع الرغبة في الحياة .. كنا قد ضللنا طريقنا في الغابة واخذت انا كل ما تبقى من طعام وهربت .

فقال جنرال "مكارثر" بصرامة :

- اي انك هجرت رجالك .. تركتهم يموتون جوعاً .

- ليس هذا بالضبط .. إن حب البقاء هو غريزة الإنسان الأولى .

ورفعت "فيرا" راسها من بين يديها وقالت وهي تحدق فيه .

- لقد تركت هؤلاء الأطفال يموتون .
- اجل لقد تركتهم يموتون ..
وقال "انتوني مارستون" في صوت بطيء متعثر :
- لقد كنت افكر لتوي في "جون" و"لوسي كومبس" . ربما كانا طفلين صدمتهما بسيارتي في "كامبريدج" . حظ سيء للغاية .
فقال مستر "جستيس وارجريف" متسائلا :
- حظهما أم حظك انت ؟
- حسنا ، لقد كنت افكر .. حظي انا .. ولكن بالتاكيد .. إنك على صواب ياسيدي . لقد كان حظي سيئاً ملعوناً . فهذا مجرد حادث بالتاكيد . لقد اندفعا من كوخ ما . وسحبت مني الرخصة مدة سنة .
وقال دكتور "ارمسترونج" محذراً :
- إن هذه السرعة الكبيرة شيء خاطئ .. خاطئ .. إن الشبان من امثالك لخطرون على المجتمع .
وهز "انتوني" كتفيه وقال :
- إن الطرق الإنجليزية في حالة ميئوس منها للغاية .. لا يمكن ان يقود المرء فيها بسرعة مناسبة .
ونظر حوله بحثاً عن كاسه . والتقطها من فوق المائدة ومضى إلى إحدى الموائد الجانبية حيث ملاها بالشراب والصودا . وقال موليا ظهره نحوهم .
- حسنا ، إنها لم تكن غلطتي على كل حال .. مجرد حادث .

- ٣ -

كان "روجرز" طيلة الوقت يعض شفتيه ويفرك راحتيه .. ثم قال بصوت خافت :
- إذا سمحتم لي بان اقول كلمة واحدة .
فقال "لومبارد" :
- هيا تكلم يا "روجرز" .
- لقد جاء ذكري انا وزوجتي يا سيدي . وذكر الآنسة "برادي" . لم يكن في هذا القول اي شيء من الصدق . لقد بقيت انا وزوجتي مع الآنسة "برادي" حتى توفيت .. كانت معتلة الصحة دائماً ، منذ اللحظة التي التحقنا فيها

بخدمتها . وفي تلك الليلة هبت عاصفة .. وفي تلك الليلة ايضاً ساءت صحتها . وكان التليفون معطلاً . ولم نستطع ان نستدعي لها طبيباً . وذهبت إليه سيراً على الاقدام . ولكنه وصل إلينا متاخراً . وقد فعلنا كل ما في استطاعتنا . لقد كنا مخلصين لها يا سادة . إن اي إنسان سيخبرك بهذا. لم توجه إلينا اي كلمة لوم .. ولا كلمة واحدة .
ونظر "لومبارد" مفكراً إلى وجه الرجل الشاحب .. وإلى شفتيه المتقلصتين. وإلى الذعر في عينيه . وتذكر سقوط صينية القهوة .
وتكلم "بلور" .. تكلم بطريقته الرسمية المشاكسة قائلاً :
- هل ورثت شيئاً عقب وفاتها ؟
وقال "روجرز" بحدة :
- لقد تركت لنا الآنسة "برادي" وصية عرفانا منها بخدماتنا إياها ..
وقال "لومبارد" :
- ماذا عنك انت يا مستر "بلور" ؟
- ماذا عني ؟
- لقد تضمنت القائمة اسمك .
واحمر وجه "بلور" وقال :
- تعني "لاندور" .. لقد كانت تلك هي حادثة سرقة البنك .. بنك لندن التجاري .
ونشط مستر "وارجريف" وقال :
- لقد تذكرت . إنها لم تعرض امامي ولكني اذكر القضية .. لقد حكم على "لاندور" بناء على شهادتك . وقد كنت انت ضابط الشرطة المسؤول عن الحادثة.
- نعم . لقد كنت انا المسؤول .
- وحكم على "لاندور" بالسجن مدى الحياة . ثم مات في سجن "وارتمور" بعد سنة من الحكم عليه .. كان رجلاً رقيقاً .
- كان محتالاً . لقد كان هو الذي ضرب خفير البنك .. كانت التهمة ثابتة عليه.
فقال "وارجريف" ببطء :
- لقد نلت ثناء على ما اظن لمعالجتك الماهرة للحادثة .

فقال "بلور" بصرامة :
– لقد نلت ترقية بسببها . ثم اضاف بصوت حاد :
– لقد كنت أؤدي واجبي .
وضحك "لومبارد" ضحكة مفاجئة رنانة وقال :
– يالنا من قوم محبين لأعمالهم وللقانون ايضاً ، باستثنائي انا . وماذا عنك يا دكتور .. وعن خطئك الطبي التافه .. هل كانت عملية غير قانونية ؟
ونظرت إليه "إميلي برنت" – في بغض عميق – وابتعدت عنه قليلاً .
وهز دكتور "ارمسترونج" راسه بمرح وهو متمالك لنفسه تماماً ثم قال :
– إنك متحير في استجلاء حقيقة الامر . إن الاسم لم يشر إلي باي شيء عند سماعه . ماذا كان .. "كليس" ؟ "كلوس" .. إنني في الحقيقة لا استطيع ان اتذكر اي مريض بهذا الاسم او انه كانت لي صلة باي موت على كل حال .. إن الأمر غامض تماماً بالنسبة لي . بالتاكيد قد مضى وقت طويل .. وقت طويل .. ربما كانت عملية اجريتها في المستشفى .. إن الكثير من هؤلاء الناس يذهبون إلى المستشفى بعد فوات الأوان . وعندئذ ، إذا مات مريض فإنهم غالباً ما يعتبرون ذلك غلطة الجراح .
وتنهد وهو يهز راسه .
وفكر في نفسه ..
ثمل .. تلك هي حقيقة الأمر .. لقد كنت ثملاً .. ورغم ذلك فقد أجريت العملية وكل اعصابي كانت متوترة .. ويداي ترتجفان وقتلتها تماماً . ياللشيطانة المسكينة . السيدة العجوز .. كانت العملية سهلة لو كنت واعياً ، من حسن حظي أن الإخلاص شعار مهنتنا . كانت الحكيمة تعلم بحقيقة الأمر ، ولكنها امسكت بلسانها . يا الله ، لقد اصيبت بصدمة ، ولكن من ذا الذي يعرف حقيقة الأمر بعد انقضاء كل هذه السنين ؟

– ٤ –

وران الصمت على الغرفة . كان كل منهم ينظر إما مباشرة او بتلصص إلى "إميلي برنت" . ومضت دقيقة او اثنتان قبل ان تتنبه إلى تطلعهم . واهتزت اهدابها ، ثم قالت :
– هل تنتظرون ان اقول لكم شيئاً ما ؟ . لبس لدي ما اقوله .

فقال القاضي :
– لا شيء يا انسة "برنت" ؟
– لا شيء .
واطبقت شفتيها بشدة .
وهز القاضي راسه ثم قال بهدوء :
– اتحتفظين بدفاعك ؟
فقالت الآنسة "برنت" بتردد :
– ليس في الأمر اي دفاع . لقد تصرفت دائماً بوحي مما يمليه علي ضميري، وليس لدي ما يقض مضجعي .
وامتلأ الجو بالشعور بعدم الارتياح . ولكن "إميلي برنت" لم تكن ممن يتاثرون بالراي العام ، وجلست دون استسلام .
وتنحنح القاضي مرة او اثنتين ثم قال :
– إن بحثنا ينتهي هنا . والآن يا "روجرز" ، من عدانا يوجد على هذه الجزيرة ؟
– لا احد يا سيدي ، لا احد على الإطلاق .
– اواثق انت من ذلك ؟
– واثق تماماً يا سيدي .
– اما انا فلست بواثق بعد من غرض مضيفنا المجهول من جمعنا هنا . ولكن في رايي ان هذا الشخص كائناً من كان . ليس عاقلاً بالمعنى المعروف للكلمة . قد يكون خطيراً . ومن المستحسن في رايي ان نغادر هذا المكان باسرع ما يمكن. إنني اقترح أن نغادره هذه الليلة .
وقال "روجرز" :
– معذرة يا سيدي ، ولكن ليس هناك اي قارب في الجزيرة .
– ولا قارب ؟
– نعم يا سيدي .
– وكيف تتصل بالعالم ؟
– إن "فريد ناركوت" يحضر إلى هنا كل صباح يا سيدي . إنه يحضر الخبز واللبن والبريد ويتلقى الأوامر .
– إذن ، فمن المستحسن في رايي ان نغادر كلنا المكان غداً حالما يصل قارب

"فريد ناركوت" .

وتعالت أصوات الجميع بالموافقة ما عدا "انتوني مارستون" الذي قال :

- إن هذه روح غير رياضية بالمرة . يجب أن تحل اللغز قبل ذهابنا .. إن الأمر كله يشبه قصة بوليسية .. مثيرة للغاية .

وقال القاضي بتهكم :

- في سني هذا ليس لدي اي ميل للإثارة كما تسميها .

ونظر إليه "انتوني" خلسة ثم رفع كاسه وشربه في جرعة واحدة وربما كان قد شربه بسرعة إذ شرق بالشراب بدرجة سيئة . وتغير لون وجهه فاحمر بشدة.. وشهق متنفساً .. ثم انزلق من فوق مقعده وقد سقط الكاس من يده .

الفصل الخامس

- ١ -

وكان الحادث مفاجئاً وغير متوقع لدرجة انه حبس انفاسهم جميعاً . وظلوا ينظرون إلى الجسد المتكوم بغباء .

ثم قام الدكتور "ارمسترونج" وذهب إليه وركع إلى جواره .. وعندما رفع راسه من فوق الجسد المسجى كانت عيناه حائرتين، وقال في همسات خافتة حيرى:

- يا إلهي . لقد مات .

ولم يتقبلوا الأمر للوهلة الأولى .

مات ؟ مات ؟ إله الشمال في عنفوان صحته وفتوته .. يسقط ميتاً مرة واحدة. إن الشبان الأصحاء لا يموتون هكذا بغصة من تناول الشراب بالصودا ... كلا .. لا يمكنهم ان يتقبلوا هذا الأمر .

وكان دكتور "ارمسترونج" يفحص وجه الميت ثم تشمم شفتيه الزرقاوين الملتويتين ثم التقط الكاس التي كان يشرب منها "انتوني مارستون" .

وقال الجنرال "مكارثر" :

- مات ؟ اتعني انه قد شرق .. فمات ؟

فقال الطبيب :

- يمكنك أن تسميها غصة إذا احببت .. لقد توفي بـ "إسفكسيا" الغرق .

كان يتشمم الكاس ثم غرس اصبعه في محتوياته . ثم لمس إصبعه بحذر بطرف لسانه .. وعلى الفور تغير تعبير وجهه .

وقال الجنرال "مكارثر" :

- لم أعرف من قبل أن الإنسان يمكن أن يموت من نوبة شرق .

وقالت "إميلي برنت" بنبرة واضحة :

- في منتصف حياتنا نموت ..

ووقف دكتور "ارمسترونج" ، ثم قال بفظاظة :

- كلا ، إن الإنسان لا يموت من نوبة شرق . إن وفاة "مارستون" لا يمكن ان نسميها وفاة طبيعية .

وقالت "فيرا" بفحيح أشبه بفحيح الأفعى :

- هل كان هناك شيء .. في الشراب ؟
واوما "ارمسترونج" براسه ، وقال :
- نعم . لا يمكنني التحديد . ولكن كل نقطة فيه تشير إلى احد مركبات السيانيد . ليس هناك رائحة مميزة لحامض البروسيك ، ربما كان سيانيد البوتاسيوم ، إنه يحدث تاثيراً مباشراً .
وقال القاضي بحدة :
- هل كان السم في كاسه ؟
- نعم .
ومشى الطبيب إلى المائدة التي عليها زجاجات الشراب فازاح غطاء زجاجة الشراب وتشمم محتوياته ثم تذوقها . وبعد ذلك تذوق الصودا . وهز راسه قائلاً :
- إن كليهما على ما يرام .
فقال "لومبارد" :
- اتعني .. انه قد وضع السم في كاسه بنفسه ؟
واوما "ارمسترونج" براسه وعلى وجهه تعبير غريب من عدم الارتياح وقال:
- يبدو هذا .
فقال "بلور" :
- انتحار إذن ؟ إنها نهاية غريبة .
وقالت "فيرا" ببطء :
- لم يكن من الممكن أن يفكر المرء في انه قد يقدم على قتل نفسه .. لقد كان مليئاً بالحياة .. لقد كان .. اوه .. كان يبدو .. كان يبدو .. أواه .. لا يمكنني ان اوضح .
ولكنهم كانوا يدركون ما تعنيه . لقد بدا "انتوني مارستون" وهو في قمة شبابه ورجولته كمخلوق قوي ، والآن وقد تكور وتحطم .. فإنه يرقد على الأرض.
وقال دكتور "ارمسترونج" :
- هل هناك اي احتمال عدا الانتحار ؟
وهز كل منهم راسه .. لم يكن هناك تفسير آخر . إن الشراب نفسه لم يكن

ملوثاً . ولقد راوه كلهم يمضي ليصب لنفسه كاساً . وهذا يعني ان اي سيانيد وضع في الكاس قد وضع بيده هو.
وعلى الرغم من هذا .. فلماذا ينتحر "انتوني مارستون" ؟
وقال "بلور" مفكراً :
- اتعرف يا دكتور .. إن الأمر لا يبدو لي صحيحاً . لا يمكن ان اتقبل فكرة ان مستر "انتوني مارستون" من صنف الناس الذين ينتحرون .
وقال "ارمسترونج" :
- وانا اوافقك على هذا .
وتركوا الأمر معلقاً هكذا .. فاي شيء آخر يمكن ان يقولاه ؟
وحمل "ارمسترونج" و"لومبارد" معا جسد "انتوني مارستون" وارقداه في سريره ثم غطياه بملاءة . وعندما عادا إلى غرفة الاستقبال ثانية ، كان الآخرون قد وقفوا متجمعين يرتجفون قليلاً رغم أن الليلة لم تكن باردة .
وقالت "إميلي برنت" :
- من المستحسن ان نمضي إلى فراشنا ، لقد تاخر الوقت .
كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة . وبدا الاقتراح وجيهاً ورغم ذلك تردد كل منهم في تلبيته . وبدوا كما لو كان كل منهم يتعلق بصحبة الآخرين.
وقال القاضي :
- نعم ، يجب أن ننام قليلاً .
وقال "روجرز" :
- إنني لم ارفع صحاف الطعام من غرفة المائدة بعد .
فقال "لومبارد" :
- ارفع هذه البقايا في الصباح .
وساله "ارمسترونج" :
- هل زوجتك بخير ؟
- سأذهب لأراها يا سيدي .
وعاد بعد قليل ليقول :
- إنها تنام نوماً هادئاً يا سيدي .

فقال الطبيب :

- عظيم . لا تقلق نومها .

- كلا يا سيدي ، لن افعل . سارتب كل شيء في غرفة المائدة واطمئن على إغلاق جميع الأبواب ثم آوي إلى الفراش .

وعبر الربهة إلى غرفة الطعام .

وصعد الآخرون الدرج في موكب بطيء هياب .

لو ان المنزل كان منزلاً قديماً ذا سلالم متداعية تصدر عنها أصوات مزعجة وبه ظلال قاتمة وجدران ثقيلة مزخرفة لكان خوفهم اكبر ، ولكن هذا المنزل كان نموذجاً لكل ما هو عصري . لم تكن فيه اركان مظلمة . وكان كل الضوء الكهربي يغمره وكل ما فيه جديد ولامع ولم يكن فيه شيء مختلف او مختبئ .

ورغم هذا فقد كان كل ذلك مصدراً لخوف أشد .

وتبادلوا تحيات المساء في أعلى الدرج .. وذهب كل منهم إلى غرفته . والياً، وبدون وعي منهم .. احكم كل منهم رتاج بابه .

- ٢ -

واخذ القاضي يغير ملابسه استعداداً للنوم في غرفته المريحة . كان يفكر في "إدوارد سيتون" .

وتذكر "سيتون" جيداً .. شعره .. عينيه الزرقاوين . وعادته في النظر مباشرة في وجه الآخرين نظرة ملؤها شعور مريح بالصراحة . وكان هذا هو ما احدث تاثيراً طيباً في المحلفين واثار غضب "ليوين" ممثل الادعاء هذا التاثير ، إذ بالغ في محاولته لإثبات التهمة على "سيتون" .

اما "ماثيوز" ممثل الدفاع فقد كان ممتازاً . كانت النقاط التي يثيرها واضحة ، واسئلته قاتلة ، ولقد قام بعمله بكفاءة رائعة .

ومر "سيتون" من مرحلة الاستجواب بمهارة . لم ينفعل او يبالغ وتاثر المحلفون ..

وملأ القاضي ساعته بعناية ووضعها إلى جوار سريره .

وتذكر بالضبط شعوره وهو جالس هناك يستمع ويدون ملاحظاته مقدراً كل ما يدور حوله منتبهاً إلى كل دليل يدين السجين .

لقد استمتع بهذه القضية . كان دفاع "ماثيوز" النهائي قطعة رائعة من الدرجة الأولى وتبعه "ليوين" ولكنه فشل في إزاحة التاثير الطيب الذي احدثه الدفاع .

وعندئذ جاء دوره لتلخيص القضية .

وخلع "طاقم" اسنانه الصناعية بعناية ووضعه في كوب من الماء وانطبقت الشفتان المجعدتان . لقد اصبح فمه الآن قاسياً .. قاسياً ومتوحشاً ..

وابتسم القاضي لنفسه ..

لقد طبخ اوزة "سيتون" على ما يرام ..

وتنهد القاضي وهو يصعد إلى سريره ويطفئ نور الغرفة .

- ٣ -

ووقف "روجرز" في غرفة الطعام متحيراً ..

كان يحملق في التماثيل الخزفية الموضوعة فوق المائدة ..

وغمغم لنفسه قائلا :

- هذا غريب . إنني اقسم انهم كانوا عشرة اطفال .

وتقلب جنرال "مكارثر" على الجانبين ..

لم يطرق النوم جفنيه بعد ..

وفي ظلام الغرفة طفق وجه "آرثر ريتشموند" يلوح لناظريه .

لقد احب "آرثر" .. لقد كان مغرماً به للغاية . وكان مسروراً إذ احبته "ليزلي" هي الأخرى .

كانت "ليزلي" هوائية .. كانت تشيح بوجهها عن كثيرين من الناس وتصفهم بانهم اغبياء .. اغبياء .. هكذا ..

ولكنها لم تعتبر "آرثر" غبياً .. لقد تصادقا بسرعة منذ البداية . كانا يتحدثان معاً عن المسرحيات والموسيقى والرسوم . كانت تغيظه وتسخر منه وتكاد تمزقه إرباً .. وكان هو ، "مكارثر" ، مسروراً إذ اعتقد انها قد تبنت "آرثر" .

تبنته حقاً .. كان غبياً للغاية . إذ لم يتنبه إلى ان "ريتشموند" في الثانية والعشرين من عمره بينما "ليزلي" في التاسعة والعشرين .

كان مغرماً بـ"ليزلي" . إنه يراها الآن بوجهها الصبوح وعينيها الراقصتين

المرحتين وخصلات شعرها البني . كان يحبها ويثق فيها تماماً .

وهناك في "فرنسا" . وسط جحيم الحرب . جلس يفكر فيها وهو ينظر إلى صورتها التي اخرجها من حافظته . وعندئذ اكتشف الأمر .

ولقد حدث الأمر كما يحدث في الروايات تماماً .. خطاب في المظروف الخطأ.. كانت قد كتبت إلى كليهما ثم وضعت خطاب "ريتشموند" في المظروف الموجه إلى زوجها . حتى الآن ، وبعد كل هذه السنوات مازال يتذكر الصدمة.. والألم ..

بالله ... ويا للسخرية ..

كانت علاقتهما مستمرة منذ سنوات . فقد اوضح الخطاب هذا .. عطلات نهاية الأسبوع .. إجازة "ريتشموند" الأخيرة ..

"ليزلي" .. "ليزلي" و"آرثر" .

لعنة الله على تلك الرجل .. لعنة الله على وجهه الصبوح .. وإجابته الدائمة "سمعاً وطاعة يا سيدي" . الكاذب المنافق ، سارق زوجات الآخرين .

وتجمع الغضب القاتل البارد ببطء .

وتمكن من ان يبدو عادياً والا يظهر ما يبطن . وحاول ان يجعل علاقته بـ"ريتشموند" عادية .

هل نجح في هذا ؟ يبدو ذلك إذ لم يشك "ريتشموند" في شيء . فقد كان شيئاً عادياً في مثل ظروف الحرب ان تتغير الأمزجة .

اما "ارميتاج" الشاب فهو وحده الذي رمقه ذات مرة باستغراب . كان شاباً صغيراً ولكن كانت له شكوكه .

ربما ظن "ارميتاج" شيئا .. عندما حان الوقت ..

لقد ارسل "ريتشموند" عمداً إلى حتفه غير اسف عليه . كان الأمر سهلاً . كانت الأخطاء ترتكب طيلة الوقت ، والضباط يرسلون إلى الموت دون داع . كانت الفوضى تعم كل شيء . وربما يقول الناس فيما بعد "لقد فقد "مكارثر" الكهل اعصابه قليلا فارتكب اخطاء جسيمة وضحى ببعض رجاله" . ولكن لم يكن في وسعهم ان يقولوا اكثر من هذا .

ولكن "ارميتاج" الشاب كان مختلفاً عنهم - كان ينظر إلى قائده بطريقة غريبة . ربما كان يعرف ان "ريتشموند" قد ارسل إلى الموت عمداً ..

هل تكلم "ارميتاج" .. بعد نهاية الحرب ؟

ولم تعرف "ليزلي" ولقد بكت "ليزلي" على حبيبها كما يعتقد .. ولكن بكاءها كان قد انتهى عندما عاد هو إلى "انجلترا" . ولم يخبرها أبداً انه اكتشف حقيقتها . وعاشا معاً .. إلا انها لم تعد تبدو على طبيعتها أبداً .. بعد ذلك وبعد ثلاث سنوات أو اربع مرضت ثم توفيت .

لقد مضى زمن طويل على كل هذا ، خمسة عشر عاماً .. ستة عشر ؟ .

وقد ترك الجيش وجاء ليعيش في "بيفون" .. واشترى منزلاً من النوع الذي كان يتمنى دائماً ان يشتريه . وكان جيرانه طيبين .. مكان رائع . كان يصطاد في بعض الأحيان . كما يذهب إلى الكنيسة كل أحد .

كان في البداية يعتقد ان كل الناس من الصديقين وبعدها داهمته الأزمة فاحس بشعور قلق مضن قوامه أن الناس يتكلمون عنه من وراء ظهره .

واصبحوا يرمقونه بطريقة مختلفة شيئاً ما .. وانطلقت بعض الشائعات الكاذبة ..

"ارميتاج" ؟ . لابد ان "ارميتاج" قد تكلم .

وتجنب الناس بعدها .. واعتكف في منزله ، حقيقة لا يرتاح المرء لأحد حين يشعر بان الناس يتناقشون عنه .

كل هذا قد مضى ، واصبح يتجنب زملاءه العسكريين القدامى.

- لو ان "ارميتاج" قد تكلم فلابد من انهم يعرفون جلية الأمر .. وهذه الليلة .. اطلق صوت مجهول الذكرى من مكمنها .

هل عالج الأمر على ما يرام ؟ الم ترتجف شفتاه ؟ الم يخن تعبيره شعوره الحقيقي ؟ . الغضب والاشمئزاز . ولكن ليس الإثم .. من الصعب معرفة الحقيقة .

- بالتاكيد لا يمكن ان يتقبل اي احد هذه الاتهامات بجدية .. كان هناك كوم من التفاهات الأخرى ، تلك الفتاة الساحرة .. لقد اتهمها الصوت باغراق طفل. سذاجة .. مجنون يلقي بالاتهامات من بين يديه ومن خلفه .

و"إميلي برنت" ايضاً . بالتاكيد قريبة لـ"توم برنت" من كتيبته.. لقد اتهمها الصوت بالقتل . إن اي إمرئ يمكنه أن يحكم وهو مغمض العينين بانها رائعة للغاية .

إن الأمر كله لملعون وغريب .. جنون .. ولا شيء عدا هذا

منذ ان وصلوا إلى هنا .. متى كان وصولهم ؟ بالتاكيد .. باللعنة .. لقد

كان وصولهم في عصر هذا اليوم ولكنه يبدو كما لو كان قد حدث منذ زمن اطول .

وفكر متعجباً .. "متى سنغادر هذا المكان مرة اخرى ؟" .

– غداً بالتاكيد .. عندما يحضر القارب البخاري .

– من المضحك انه في هذه اللحظة لا يريد ان يغادر الجزيرة . ايعود إلى العالم مرة اخرى .. يعود إلى المنزل الصغير .. إلى المتاعب والآلام .

ومن النافذة المفتوحة امكنه ان يسمع اصوات تكسر الموج على الصخور .

– صوت اعلى من صوت السماء . إن الرياح بدات تشتد هي الأخرى .

وفكر .. صوت هادئ .. مكان هادئ .

وفكر . احسن ما في الجزر انك ما إن تصل إليها حتى تجد انك لا تستطيع ان تمضي قدماً اكثر من ذلك .. إنك تصل إلى نهاية الأشياء ..

وادرك فجاة انه لا يريد ان يغادر هذه الجزيرة .

– ٤ –

استلقت "فيرا كليثون" على سريرها مفتحة العينين تحدق في السقف . كان المصباح إلى جوارها مضاء .. وكانت خائفة من الظلمة .

وكانت تفكر ..

– "هوجو" ، "هوجو" . لماذا احس بانك قريب مني هذه الليلة ، في مكان قريب للغاية .

اين هو حقاً ؟ لا اعلم .. ولن اعلم .. لقد ذهب بعيداً جداً . خارج اسوار حياتي .. لم يكن من المفيد محاولة التفكير في "هوجو" .. كان قريباً منها للغاية. كان يجب عليها ان تفكر فيه . ان تتذكر .

"كورنوول" .

الصخور السوداء والرمال الناعمة الصفراء ، ومسز "هاميلتون" السمينة المرحة .. و"سيريل" .. دائماً يبكي ، يشكو من يده .

– اريد ان اسير إلى الصخور يا انسة "كليثون" ، لماذا لا يمكن لي ان اسبح إلى الصخور؟

واستمتع بالنظر إلى اعلى .. والالتقاء بعيني "هوجو" اللتين ارقبهما .. وفي الأمسيات ، وبعد ان ياوي "هوجو" إلى فراشه .

– تعالي نتمشى قليلاً يا انسة "كليثون" .

– اعتقد انني سافعل .

والسير على شاطئ البحر .. وضوء القمر .. وجو المحيط الرطب وعندئذ .. ذراعا "هوجو" تحيطان بها .

ثم .. ذراعا "هوجو" تلتفان حولها .

– احبك . احبك . إنك لتعرفين انني احبك يا "فيرا" .

نعم كانت تعرف .

لا يمكنني ان اطلب منك ان تتزوجيني ، ليس لدي مليم واحد .. لا يمكنني إلا ان اقيم اودي . اتعرفين انه من الغريب حقاً انه لو اتيحت لي الفرصة مرة واحدة ولمدة ثلاثة اشهر فقط لاصبحت غنياً ! إن "سيريل" لم يولد إلا بعد وفاة "موريس" بثلاثة اشهر .. لو كان فتاة .

لو ان الطفل جاء بنتاً لورث "هوجو" كل شيء ، لقد خاب امله كما اعترف لها.

– لم ابن املا على هذا بالتاكيد . ولكنها كانت نوعاً من الصدمة . حسنا ، إن الحظ هو الحظ ، إن "سيريل" صبي لطيف . إنني مغرم به للغاية . وكان الصبي مغرماً به ايضا . فقد كان على استعداد لان يلاعبه ويسليه ، فلم يكن في طبيعة "هوجو" حمل اية ضغينة بين جوانحه .

لم يكن "سيريل" في صحة قوية ، بل كان طفلاً معتلاً من اصناف الأطفال الذين لا يعيشون للنمو ..

وبعدئذ ..

– يا انسة "كليثون" لماذا لا اصعد إلى الصخور ؟ !

توسل مثير ..

– إنها بعيدة جداً يا "سيريل" .

– ولكن يا انسة ..

ونهضت "فيرا" ، وذهبت إلى مائدة الزينة وابتلعت ثلاثة اقراص من الأسبرين.

وفكرت : ليتني كان معي بعض الحبوب المنومة .

وفكرت : لو انني اردت الانتحار لأخذت جرعة مضاعفة من الفيرونال . شيء من هذا القبيل وليس السيانيد ..

وارتجفت عندما تذكرت وجه "انتوني مارستون" المكفهر .
وبينما كانت تمر بالرف نظرت إلى القصيدة المعلقة .
"ذهب عشرة أطفال للعشاء
وغص احدهم ومات فلم يبق منهم سوى تسعة
وفكرت في نفسها :
- "إنه فظيع .. تماماً كما حدث هذه الليلة ..
لماذا اراد "انتوني مارستون" "الموت" .
إنها لا تريد ان تموت .
لا يمكن ان اتمنى الموت .
إن الموت من .. من أجل الآخرين ..

الفصل السادس

- ١ -

كان دكتور "ارمسترونج" يحلم ..

كان الجو شديد الحرارة في غرفة العمليات ، والعرق يغمر وجهه ، ويداه لزجتان .

واصبح من الصعب الإمساك بالمشرط بثبات .

كم كان المشرط حاداً ..

من السهل القتل بمثل هذا المشرط .. وبالتاكيد كان يرتكب جريمة ..

وبدا جسد المراة مختلفاً .. كان جسداً طويلاً غير عريض .. جسم نحيل .. ووجه مختف . ترى من كانت تلك التي قتلها ؟

لا يستطيع أن يتذكرها .. ولكن يجب ان يتذكرها ، ايجب ان يسال الممرضة؟.

كانت الممرضة تراقبه .. كلا ، لا يمكن ان يسالها ، كانت تشك في كل شيء ، وكان من الممكن إدراك هذا ، بل كان يجب عليهم الا يغطوا وجهها هكذا !

لو كان يستطيع أن يرى وجهها .

اه ، هذا حسن . لقد بدا احد اطباء الامتياز يجر المنديل .

"إميلي برنت" بالتاكيد . إنها "إميلي برنت" التي كان عليه ان يقتلها ، بالعينيها الخبيثتين . كانت عيناها تتحركان . ماذا كانت تقول ؟ !

في منتصف حياتنا .. نموت ..

إنها تضحك الآن ، كلا ايتها الممرضة . لا تعيدي المنديل ثانية، يجب أن اراها . اين المخدر ؟ . لابد اني قد احضرته معي .. ماذا فعلت بالمخدر أيتها الممرضة ؟ "شاتو نوف دي باب" ؟ . نعم .. هذا سيفيد تماماً .

ارفعي المنديل ايتها الممرضة .

بالتاكيد ، لقد كنت اعرف هذا طيلة الوقت ، إنه "انتوني مارستون" .. إن وجهه قرمزي ومكفهر . ولكنه لم يمت ، إنه يضحك ، أقول إنه يضحك ، إنه يهز مائدة العمليات .

استمع إلي يا رجل ، ايتها الممرضة . ثبتي المائدة .. ثبتيها .

واستيقظ دكتور "ارمسترونج" فجاة ، كان الصباح قد طلع ، وكان ضوء

الشمس يغمر الغرفة .

وكان شخص ما منحنياً فوقه يهزه ، كان "روجرز" ، شاحب الوجه وكان يقول :

- دكتور .. دكتور .

وافاق دكتور "ارمسترونج" تماماً .

وجلس في السرير . وقال بحدة :

- ماذا هناك ؟ .

- زوجتي يا دكتور . لا استطيع إيقاظها . يا إلهي . لا أستطيع إيقاظها ، و... واخشى ان يكون قد اصابها مكروه .

وكان دكتور "ارمسترونج" سريع الاستجابة ، فدثر نفسه بالروب وتبع "روجرز" .

وانحنى فوق السرير حيث كانت ترقد المراة على جنبها بسلام ورفع اليد الباردة ، ثم فتح الجفن ، ومضت بعض الثواني قبل ان يستقيم جسمه ويستدير عن السرير .

وهمس "روجرز" : هل .. هل ..

وبلل شفتيه الجافتين ، واوما "ارمسترونج" براسه وقال :

- نعم ، لقد ماتت .

واستقرت عيناه - في تفكيره - على الرجل الواقف امامه .. ثم ذهبا إلى المائدة المجاورة للسرير ، ثم إلى مائدة الغسل ، ثم عادا إلى المراة المستلقية .

وقال "روجرز" :

- لقد كانت تشكو من روماتيزم في المفاصل .

- وهل فحصها طبيب ؟ .

- طبيب . إنها لم تعرض نفسها على اي طبيب منذ سنوات مضت ولا انا .

- هل عندك شك في انها كانت تعاني اي متاعب في قلبها ؟

- لا ، يا دكتور ، لم اعلم بشيء من هذا أبداً .

- هل نامت نوماً هادئاً ؟

وزاغت عينا "روجرز" بعيداً عن عينيه واخذ يفرك يديه ثم قال:

- كلا لم تنم نوماً هادئاً .

فقال الطبيب محتداً :

- هل تناولت اي منوم ؟ .

فحدق فيه "روجرز" دهشاً وقال :

- تناولت منوّماً ؟ لا أعرف شيئاً من هذا القبيل . إني واثق من انها لم تفعل هذا .

ومضى "ارمسترونج" إلى مائدة الغسل .

كان عليها عدد من الزجاجات .. زجاجة غسل شعر .. ماء كولونيا .. جلسرين .. معجون اسنان .. دواء للغرغرة ، وفتح "روجرز" ادراج مائدة الزينة . وبعدها مضيا إلى ادراج الصوان .

ولكن لم يكن في اي واحد منها اي ادوية او اقراص .

وقال "روجرز" :

- إنها لم تتناول اي شيء الليلة الماضية سوى ما اعطيتها انت يا سيدي.

- ٢ -

عندما دق الجرس إيذاناً بتناول الفطور كان كل منهم قد استيقظ بالفعل وجلس ينتظره .

كان الجنرال "مكارثر" والقاضي يتمشيان في الشرفة ويتبادلان الحديث حول الموقف السياسي وكانت "فيرا كليثون" و"فيليب لومبارد" قد ارتقيا اعلى الجزيرة خلف القصر حيث وجدا "ويليام هنري بلور" واقفاً يحدق إلى الشاطئ الآخر .

وقال :

- لم يبد اي اثر للقارب البخاري بعد ، لقد كنت اترقبه .

وقالت "فيرا" وهي تبتسم :

- إن إقليم "ديفون" يبعث على النوم ، ودائماً ما يتاخر العمل فيه .

وكان "فيليب لومبارد" ينظر في الاتجاه الآخر إلى البحر .. وقال فجاة :

- ما قولكم في الجو ؟

ونظر "بلور" إلى السماء ثم قال :

- يبدو لي على ما يرام .

واخذ "لومبارد" يصفر بفمه ثم قال :

- قبل ان ينتهي النهار ستهب عاصفة

وقال "بلور" :
- عاصفة عنيفة ..
ومن أسفل سمعوا صوت الجرس . وقال "فيليب لومبارد" :
- الفطور .. حسن ، بودي أن اتناول شيئا منه .
وبينما كانوا يهبطون قال "بلور" لـ "لومبارد" :
- إنني ساواصل البحث عن الدافع الذي جعل هذا الشاب ينتحر ، لقد اقلقني طيلة الليل .
كانت "فيرا" قد سبقتهم قليلاً ، وتاخر "لومبارد" قليلاً ثم قال :
- هل عندك نظرية بديلة ؟
- إنني في حاجة إلى بعض الادلة ، الدافع اولاً ، يمكنني ان اقول إنه كان ثرياً .
وخرجت "إميلي برنت" من شرفة الاستقبال لتلتقي بهم .
وقالت بحدة :
- هل اتى القارب ؟ .
وقالت "فيرا" :
- لم يات بعد .
ومضوا لتناول الفطور .. وكان على جانب من المائدة طبق كبير من البيض واللحم وبعض القهوة والشاي .
وامسك لهم "روجرز" الباب كي يمروا ثم اغلقه وراءهم من الخارج .
وقالت "إميلي برنت" :
- إن هذا الرجل يبدو مريضاً هذا الصباح .
وقال لهم دكتور "ارمسترونج" الذي كان يقف إلى جوار النافذة:
- يجب أن تتغاضوا عن اي نقص في الطعام هذا الصباح . لقد بذل "روجرز" كل ما في وسعه لإعداده وحده ، إن مسز "روجرز" قد .. إنها غير قادرة على العمل هذا الصباح .
وقالت "إميلي برنت" بحدة :
- ماذا جرى للمراة ؟ .
فقال دكتور "ارمسترونج" بهدوء ؟
- لنبدا فطورنا ، سيبرد البيض ، وبعد هذا فهناك عديد من الموضوعات

التي اريد ان اناقشها معكم .
ووافقوا على اقتراحه .. وامتلأت الأطباق وصبت اقداح القهوة والشاي .. وبدات الوجبة . وتجنب الجميع - باتفاق جماعي - الحديث عن الجزيرة ، وبدلا من هذا اخذوا يتحدثون بطريقة عصرية عن الأحداث الجارية .
وبعدما فرغت الأطباق حرك دكتور "ارمسترونج" مقعده قليلاً إلى الخلف .. وبعد ان شحذ حنجرته تكلم فقال :
- لقد اعتقدت انه من المستحسن ان ننتظر حتى تنتهوا من فطوركم قبل ان اخبركم بنبا سيئ . لقد توفيت مسز "روجرز" في اثناء نومها .
وتعالت صيحات الصدمة والحزن .
فصاحت "فيرا" :
- يا للفظاعة . ميتان في الجزيرة منذ وصلنا .
وضاقت عينا مستر "وارجريف" وقال بصوته الواضح المحدد:
- همم . عظيم جداً . وماذا كان سبب الوفاة ؟
فهز "ارمسترونج" كتفيه وقال :
- من المستحيل ان اقول بدون فحص .
- هل تحتاج إلى تشريح ؟
- لا استطيع بالتاكيد ان اعطي تصريحاً بالدفن . ليس لدي علم عن حالة المراة الصحية قبل وفاتها .
وقالت "فيرا" :
- لقد كانت عصبية للغاية . ولقد اصيبت بصدمة في الليلة الماضية . اعتقد انها اصيبت بصدمة قلبية .
وقال دكتور "ارمسترونج" بجفاف :
- لقد توقف قلبها عن العمل بالتاكيد .. ولكن ما الذي جعله يتوقف عن العمل؟
وافلتت كلمة من فم "إميلي برنت" . كلمة واضحة قاسية على اسماع الباقين.
- الضمير .
والتفت "ارمسترونج" إليها وقال :
- ما الذي تعنينه بالضبط بهذا القول يا انسة "برنت" ؟

- لقد سمعتم كلكم . لقد اتهمت بقتل مخدومتها عمداً بالاشتراك مع زوجها.. قتل سيدة عجوز .

- او تعتقدين هذا ؟

- اعتقد ان هذا الاتهام صحيح . لقد رايتموها كلكم ليلة امس. لقد انهارت مرة واحدة واغمي عليها .

كانت صدمة اكتشاف الامر صعبة عليها . لقد ماتت ببساطة بسبب الخوف.

وهز دكتور "ارمسترونج" راسه بشك وقال :

- إنها نظرية مستحيلة .. لا يمكن للإنسان ان يتقبلها بدون معرفة سابقة بحالتها الصحية لو كانت مصابة بضعف في ..

وقالت "إميلي برنت" بسرعة :

- إذا كنت تفضل يمكنك ان تسميه إرادة الله .

وصدم كل واحد منهم .

وقال مستر "بلور" بعدم ارتياح :

- إنك تبالغين في الامر قليلاً يا آنسة "برنت" .

ثم اضاف "بلور" موجهاً سؤاله إلى الطبيب :

- ماذا اكلت او شربت ليلة الأمس بعد ان اوت إلى فراشها ؟

فقال "ارمسترونج" :

- لا شيء .

- الم تاخذ شيئاً ؟ حتى ولا قدحاً من الشاي ؟ ولا شربة ماء . اراهن انها تناولت كوباً من الشاي ، إن هذا غالباً ما يحدث .

- لقد اكد لي "روجرز" هذا .

- ولكنه يجب ان يقول هذا .

كانت نبراته تحمل معنى الاهتمام لدرجة ان "ارمسترونج" التفت إليه بحدة.

وقال "فيليب لومبارد" :

- اي ان هذه هي نظريتك ؟

فقال "بلور" لـ "لومبارد" بعداء :

- حسنا ولم لا ؟ لقد سمعنا كلنا – ليلة الأمس – وقائع الاتهام . قد يكون

الامر مجرد جنون القمر ، ومن ناحية اخرى فقد لا يكون . خذوا الامر برهة على انه حقيقة . لقد قتل "روجرز" هو وزوجته سيدتهما العجوز .

حسنا ، إلى اين يقودكم هذا . كانا يشعران بامن وسعادة حول ..

وقاطعته "فيرا" قائلة بصوت خافت :

- كلا ، لا اعتقد ان مسز "روجرز" قد شعرت باي امن .

وتضايق "بلور" قليلاً من مقاطعتها .. وقالت عيناه : "تتكلم تماماً كامراة" ثم استانف حديثه قائلاً :

- ربما كان هذا حقاً . وعلى كل حال فلم يكونا في خطر حقيقي على قدر عملهما . وعندما حدث ليلة الأمس واذاع مجنون ما ذلك السر . ماذا حدث ؟ انهارت المراة .. وتحطمت تماماً . هل لاحظتم كيف احاطها زوجها عندما بدات تفيق . لم يكن عطفاً زوجياً . بل كان مثل قط فوق صفيح ساخن لدرجة الموت مما قد ينم عن أن جرمهما من وقت حديث .

واليكم هذا الموقف . لقد ارتكبا جريمة دون ان ينكشف امرهما . ولكن إذا ما ذاع الخبر فماذا سوف يحدث ؟ عشرة احتمالات ضد احتمال واحد تقول إن المراة ستعترف ، فليس لها من قوة الأعصاب ما يمكنها من ان تصر على الإنكار .. إنها خطر حتى بالنسبة لزوجها .. إنه على ما يرام .. سيكذب وهو ثابت الجنان إلى يوم القيامة ولكنه ليس واثقاً منها هي .

وإذا انهارت فسيلتف حبل المشنقة حول رقبته .. وهكذا فقد وضع شيئاً في كوب الشاي كي يتاكد من انغلاق فمها إلى الأبد.

فقال "ارمسترونج" ببطء :

- لم يكن هناك اي كوب فارغ إلى جوار سريرها . لا شيء على الإطلاق . لقد بحثت جيداً .

فقال "بلور" باستهزاء :

- بالتاكيد لم تجد شيئاً . إن اول شيء فعله بعد ان شربت الشاي ان اخذ الكوب فغسله جيداً .

وتوقف الحديث ، وبعدها قال الجنرال "مكارثر" في ارتياب :

- ربما كان هذا حقاً .. ولكنني لا استطيع الاقتناع بانه من الممكن لرجل ان يفعل هذا .. مع زوجته .

فضحك "بلور" ضحكة قصيرة وقال :

- عندما يهدد حبل المشنقة عنق الرجل فإنه لا يتوقف ليفكر في العواطف .

وتوقف الحديث . وقبل ان يتكلم اي شخص ، انفتح الباب .

ودخل "روجرز" .. وقال وهو ينقل نظره من واحد إلى اخر .

- هل هناك اي شيء اخر يمكنني ان اؤديه لكم ؟

وتحرك مستر "وارجريف" قليلاً في مقعده وقال :

- ما هو الوقت المعتاد الذي يصل فيه القارب البخاري ؟

- فيما بين السابعة والثامنة يا سيدي . وفي بعض الاحيان يتاخر قليلاً عن الثامنة . ولا علم لي بما فعله "فريد ناركوت" هذا الصباح . ولو انه كان مريضاً لارسل اخاه بدلاً منه .

وقال "فيليب لومبارد" :

- كم الساعة الآن ؟

- العاشرة إلا عشر دقائق يا سيدي .

وارتفع حاجبا "لومبارد" . واخذ يهز راسه ببطء . وانتظر "روجرز" لحظة .

وفجاة تكلم الجنرال منفجراً وقائلاً :

- يؤسفني ما سمعته عن وفاة زوجتك يا "روجرز" . لقد اخبرنا الدكتور لتوه بالنبا .

وحنى "روجرز" راسه وقال :

- شكراً يا سيدي .

واخذ طبق الطعام الفارغ وخرج من الغرفة .

ومن جديد ران الصمت على الجميع .

- ٣ -

قال "فيليب لومبارد" وهو في الشرفة :

- اما عن ذلك القارب البخاري ..

ونظر "بلور" إليه وهز راسه موافقاً . ثم قال :

- انا اعلم فيما تفكر يا مستر "لومبارد" . لقد سالت نفسي عن السؤال . كان مقدراً للقارب ان يصل إلى هنا منذ ساعتين بالضبط ولكنه لم يصل . لماذا؟

- هل وجدت جواباً ؟

- إنه ليس مجرد مصادفة .. هذا هو رايي . إنه جزء لا يتجزا من العملية كلها .. إن كل العملية متماسكة ببعضها .

- اتعتقد انه لن ياتي ؟

وجاء الرد من صوت خلفهما .. صوت مملوء بعدم الصبر .

- لن ياتي القارب البخاري ..

والتفت "بلور" براسه قليلا إلى الخلف وتفحص المتكلم متاملاً ثم قال :

- انت ايضاً تعتقد ذلك يا جنرال ؟

فقال جنرال "مكارثر" بحدة :

- بالتاكيد لن ياتي . إننا نعتمد على القارب في نقلنا من الجزيرة ، هذا هو لب الموضوع .

- إننا جميعاً لن نغادر هذه الجزيرة .. حتى ولا اي واحد منا سوف يغادرها. إنها النهاية كما ترى .. نهاية كل شيء مروع.!!

وتردد قبل ان يقول بصوت غريب منخفض .

- إنه السلام .. السلام الحقيقي . ان نصل إلى النهاية . وان نضطر إلى متابعة المسير .. نعم هذا هو السلام ، الذي ننشده .

واستدار فجاة ومشى بعيداً . وعبر الشرفة ثم اخذ يهبط المنحدر إلى شاطئ البحر ، إلى نهاية الجزيرة حيث تنحدر الصخور الزلقة إلى البحر .

وسار قليلاً في غير ثبات .. كرجل نصف مستيقظ .

وقال "بلور" :

- وهكذا يمضي شخص اخر . يبدو ان الامر سينتهي بكل منا هكذا .

فقال "لومبارد" :

- لا اعتقد انك ستفعلها يا "بلور" .

فضحك مفتش الشرطة السابق قائلاً :

- سيكلفني الامر كثيراً كي اؤوب إلى رشدي كما انني لن اعتقد انك ايضاً ستسلك نفس الطريق يا مستر "لومبارد" .

- إنني اشعر تماماً انني في كامل وعيي في هذه اللحظة . شكراً لك .

- ٤ -

وخرج دكتور "ارمسترونج" إلى الشرفة .. ووقف متردداً . وعلى يساره كان يقف "بلور" و"لومبارد" وعلى يمينه "وارجريف" يذرع الشرفة ببطء جيئة وذهاباً ورأسه قد انحنى إلى أسفل .

وبعد لحظة من الحيرة انضم "ارمسترونج" إلى "وارجريف" .

ولكن في هذه اللحظة جاء "روجرز" مسرعاً إليه وقال :

- هل يمكنني أن أتحدث إليك يا سيدي ؟

واستدار "ارمسترونج" إليه .

وبهت لما رآه ..

كان وجه "روجرز" منفعلاً .. لونه مخضر .. ويداه ترتجفان ..

كانت مفارقة غريبة لاحتفاظه باتزانه منذ دقائق قليلة خلت لدرجة أن "ارمسترونج" ذهل .. واستدار الطبيب ودخل معه المنزل .. وقال :

- ما الأمر يا رجل ؟ تمالك نفسك .

- تعال هنا يا سيدي . تعال إلى هنا .

وفتح باب غرفة المائدة فمر منه الطبيب .. وتبعه "روجرز" وأغلق خلفهما الباب.

فقال "ارمسترونج" :

- حسنا ، ماذا هناك ؟

وأخذ "روجرز" يبتلع ريقه بصوت مسموع ، وقال بجهد :

- هناك أشياء تحدث يا سيدي لا استطيع فهم كنهها .

فقال "ارمسترونج" بحدة :

- أشياء ؟ أي أشياء ؟

- ستظن أنني مجنون يا سيدي .. ستقول أن لا شيء في الأمر .. ولكن يجب أن يوجد أي تفسير لها .. يجب أن يوجد أي تفسير .. إذ لا يوجد معنى لها ..

- حسنا يا رجل ، أخبرني بما عندك ، لا تتحدث هكذا بالألغاز .

- إنها تلك التماثيل الصغيرة .. تلك التي في منتصف المائدة .. التماثيل الخزفية الصغيرة لقد كانوا عشرة .. أقسم أنهم كانوا عشرة .

- نعم ، كانوا عشرة . لقد عددناهم ليلة أمس .

فاقترب "روجرز" منه وقال :

- هذا حقيقي يا سيدي وليلة الأمس ، بينما كنت أنظف المائدة لم يكن هناك سوى تسعة منهم . لقد لاحظت هذا واستغربت ولكن فكري توقف عند هذا الحد. والآن يا سيدي هذا الصباح إنني لم ألحظها وأنا أضع الفطور . كنت مرتبكاً .. ولكن الآن وأنا أنظف المائدة .. يمكنك أن تنظر بنفسك إن كنت لا تصدقني . إنهم ثمانية فقط يا سيدي .. ثمانية فقط . أليس لهذا معنى ملموس؟.. ثمانية فقط . !!

الفصل السابع

- ١ -

كانت "إميلي برنت" بعد أن تناولت الفطور قد اقترحت على "فيرا كليثون" أن ترتقيا قمة المرتفع ثانية ترقباً لوصول القارب ، ووافقت "فيرا" على الاقتراح، وقالت "إميلي برنت" :

- إن الرجل الذي أحضرنا هنا بالأمس يبدو رجلا يمكن الاعتماد عليه ، ومن الغريب حقاً أن يتأخر هكذا هذا الصباح .

ولم تتكلم "فيرا" .. كانت تكافح ثورة من الغضب تتزايد بداخلها . وقالت لنفسها بغضب . "يجب أن تحتفظي ببرودك . إن هذا ليس من شيمتك . لقد كنت دائماً تتمتعين بأعصاب قوية"

ثم رفعت صوتها ، وقالت بعد صمت قصير :

- أتمنى لو يأتي . إنني أريد الرحيل .

فقالت "إميلي برنت" بجفاف :

- لا يخالجني شك في أننا كلنا نود الرحيل .

- إن الأمر كله غير عادي . لايبدو أي .. أي معنى لما يحدث .

- إنني لغاضبة من نفسي إذ خدعت بسهولة للمجيء إلى هنا . وإذا فحص الخطاب جيداً تبين مدى تفاهته .. ولكن لم تخامرني أية شكوك وقتها.. على الإطلاق .

- أعتقد هذا .

- إن الإنسان يتقبل بعض الأشياء في كثير من الأحيان دون تمحيص .

وتنهدت "فيرا" بعمق ثم قالت :

- هل تؤمنين حقاً بـ .. بما قلته في أثناء تناول الفطور ؟

- كوني دقيقة شيئاً ما يا عزيزتي ، ما الذي تشيرين إليه بالضبط بقولك هذا؟ .

فقالت "فيرا" بصوت خافت :

- أتعتقدين حقاً أن "روجرز" وزوجته قد قتلا السيدة العجوز ؟

وحدقت "إميلي برنت" في مياه البحر مفكرة . ثم قالت:

- إنني شخصياً واثقة تماماً من هذا . وما رأيك أنت ؟

- لا أدري فيم أفكر ؟

- إن كل شيء يؤيد هذه الفكرة .. الطريقة التي أغمي بها على المرأة .. والتي أسقط بها الرجل صينية القهوة .. أتذكرين ؟ . وبعد تلك الطريقة التي تحدث بها عن الأمر .. إنها لم تبد كلها حقيقية .

- أوه .. إنني أخشى أن يكونا قد فعلاها هنا .

- الطريقة التي كانت تبدو بها .. خائفة حتى من شبحها هي .. لم أر أبدا امرأة تبدو بهذا الخوف ، لابد أن هذا الخوف ظل يلازمها ويطاردها .

- إنني أذكر جملة كانت معلقة في غرفتي وأنا طفلة . "كن واثقاً من أن خطيئتك ستكشف سترك" .

- إن هذا لحق .. كن واثقاً من أن خطيئتك ستكشف سترك .

وتهادت "فيرا" على قدميها وقالت :

- ولكن يا آنسة "برنت" .. آنسة "برنت" .. في هذه الحالة .

- ماذا يا عزيزتي .

- والآخرون ، ماذا عن الآخرين ؟

- إنني لا أفهمك تماماً .

- كل تلك الاتهامات الأخرى .. إنها لم تكن صحيحة . ولكنها إذا كانت كذلك فيما يتعلق بـ "روجرز" .

وتوقفت عجزاً عن توضيح أفكارها المتضاربة .

وقالت "إميلي برنت" :

- إنني أفهمك الآن .. حسن . هناك مستر "لومبارد" هذا .. لقد اعترف بالتخلي عن عشرين رجلاً ليلقوا حتفهم .

- لم يكونوا إلا مجرد وطنيين .

فقالت "إميلي برنت" محتدة :

- سواء أكانوا بيضاً أم سوداً فإنهم إخوة لنا .. ولا فرق بيننا وبينهم على الإطلاق .

وفكرت "فيرا" .."إخوتنا السود .. إخوتنا السود . إنني أوشك أن أضحك . إنني في حالة عصبية ، إنني لست على ما يرام" .

وواصلت الآنسة "برنت" قولها متفكرة :

- بالتأكيد إن بعضاً من الاتهامات الأخرى تافهة ومبالغ فيها . الاتهام الموجّه إلى القاضي ، على سبيل المثال .. لقد كان يؤدي واجباً . وضد رجل

الشرطة السابق . وضدي انا شخصياً .

وتوقفت قليلاً قبل ان تواصل الحديث قائلة :

- بالتاكيد فإنه نظراً لظروف الأمس ، لم انبس ببنت شفة .. فلم يكن الموضوع مناسباً للحديث امام الرجل .

- الم يكن ؟

وواصلت "إميلي برنت" حديثها برصانة واستمعت إليها "فيرا" باهتمام :

- لقد كانت "بياتريس تايلور" تعمل في خدمتي . لم تكن فتاة لطيفة كما اكتشفت مؤخراً لقد خدعت فيها إلى درجة كبيرة .. كانت اخلاقها طيبة .. وكانت نظيفة تماماً ومطيعة . كنت مسرورة منها إلى حد كبير ، وبالتاكيد كان هذا نفاقاً رخيصاً منها . كانت فتاة فاسدة الأخلاق .. مثيرة للاشمئزاز .. ومضى وقت قبل ان اكتشف انها كانت فيما يسمونه في مازق .. كان هذا صدمة لي إذ إن والديها كانا خيرين ورباها بتحفظ شديد ، وإنني لمسرورة إذ اقول إنهما لم يرضيا عن مسلكها .

وقالت "فيرا" وهي تحملق في الآنسة "برنت" :

- وماذا حدث ؟

- بالتاكيد لم ابقها في منزلي ولو ساعة بعد ذلك . كي لا يقول احد إنني وافقتها على سلوكها .

وقالت "فيرا" بصوت اكثر خفوتاً :

- وماذا حدث لها ؟

- إن المخلوقة الضالة لم تكتف بارتكاب خطيئة واحدة بل اضافت إلى وزرها خطيئة اشد .. لقد انتحرت .

وهمست "فيرا" وقد اصابها الذعر :

- قتلت نفسها !

- نعم .. القت بنفسها إلى النهر .

وارتجفت "فيرا" ، وحدقت إلى المنظر الجانبي الهادئ الرقيق لوجه الآنسة "برنت" .. ثم قالت :

- بماذا شعرت عندما علمت بهذا النبا ؟ هل احسست بالاسف؟ الم تلومي نفسك ؟

- انا ؟ ليس لدي ما الوم نفسي عليه .

- ولكن إذا كانت .. قسوتك .. هي التي دفعتها إلى الانتحار .

فقالت الآنسة "برنت" بحدة :

- إنها فعلتها . خطيئتها هي التي دفعتها إلى هذا . لو انها كانت قد تصرفت كالفتيات المتواضعات الطيبات لما حدث لها شيء على الإطلاق .

وادارت وجهها إلى "فيرا" .. لم يكن في عينيها اي اثر لتانيب الضمير او عدم الارتياح . كانتا قاسيتين .. وجلست "إميلي برنت" على قمة جزيرة "نيجر" يكتنفها شعور بالفضيلة .

ولم تعد العانس العجوز تبدو سخيفة في عيني "فيرا" .

لقد اصبحت فجاة .. مرعبة .

- ٣ -

غادر دكتور "ارمسترونج" غرفة المائدة وعاد إلى الشرفة من جديد .

وكان القاضي يجلس على احد المقاعد وهو يحدق في مياه البحر .

كان "لومبارد" و"بلور" جالسين يدخنان في صمت .

وتردد الطبيب برهة ثم استقرت عيناه على القاضي بإمعان .

كان يريد ان يتشاور مع شخص ما . وكان في حاجة إلى تفكير القاضي المنطقي الدقيق . وعلى الرغم من ذلك تردد ، فقد يكون للقاضي عقل منظم ولكنه رجل عجوز . في هذه اللحظة شعر "ارمسترونج" ان من سيرتاح إليه هو رجل عملي .

وحسم رايه .

- هل يمكنني ان اتحدث معك برهة يا "لومبارد" ؟

وبهت "لومبارد" وقال :

- بالتاكيد .

وغادر الرجلان الشرفة . واخذا يتمشيان في طريقهما إلى الشاطئ وقال "ارمسترونج" :

- إنني في حاجة إلى المشورة .

وارتفع حاجبا "لومبارد" وقال :

- ليس لديّ يا عزيزي اية معلومات طبية .

- كلا .. كلا .. أعني مشورة فيما يختص بالوضع العام .
- أوه .. هذا يختلف .
- بصراحة .. ما رأيك في هذا الموضوع ؟
وفكر "لومبارد" برهة قبل أن يقول :
- إنه وضع مليء بالاحتمالات .. أليس كذلك ؟
- ما رأيك فيما يختص بالمرأة ؟ هل تقبل نظرية "بلور" ؟
ونفث "لومبارد" دخان سيجارته في الهواء وقال :
- إنها محتملة جداً .. لو نظرنا إليها على حدة .
- بالضبط .
وبدا الارتياح في صوت "أرمسترونج" .. إن "لومبارد" ليس غبياً .. ومضى "لومبارد" يقول :
- هذا إذا تقبلنا الفرض بأن "روجرز" وزوجته قد أفلحا في التخلص من آثار جريمتهما . ولا أرى ما يمنع هذا . ما رأيك فيما فعلاه بالضبط ؟ هل سمما السيدة العجوز ؟
فقال "أرمسترونج" ببطء :
- ربما كان الأمر أيسر من هذا . لقد سألت "روجرز" هذا الصباح عما إذا كانت الآنسة "برادي" تلك كانت تعاني مرضا ، وكانت إجابته موضحة ، لست في حاجة إلى تفصيلات طبية ، ولكن في مثل مرضها فإن أي مضاعفات للمرض تكون خطيرة .
- أي أن الأمر كان سهلا للغاية .
- نعم .. لم يكونا في حاجة إلى عمل إيجابي . مجرد إهمال العلاج . وقد قضى "روجرز" الليل كله في البحث عن الطبيب .. وكانا واثقين من أن أحداً لن يتمكن من أن يتهمهما بالقتل .
وحتى لو اتهمهما أحد فلن يثبت عليهما شيء . ثم أضاف :
- وبالتأكيد .. فإن هذا يوضح الكثير .
- عفواً ؟
- أعني هنا في جزيرة "نيجر" .. هناك جرائم لا يمكن معاقبة فاعليها مثل حالة "روجرز" أو مثل حالة القاضي العجوز الذي ارتكب جريمته باسم القانون .
فقال "أرمسترونج" محتداً :
- هل تصدق تلك القصة ؟

فابتسم "فيليب لومبارد" وقال :
- نعم إني أصدقها . لقد قتل "وارجريف" "إدوارد سيتون" على خير وجه ، ولكنه كان من المهارة إذ فعلها وهو في مقعد القضاة مرتدياً مسوحهم ، وهكذا فإنك لا تستطيع أن تعاقبه بالطرق الطبيعية .
وسطعت فكرة سريعة في ذهن "أرمسترونج" .
- جريمة في المستشفى . جريمة على مائدة العمليات . إنه آمن .. آمن تماماً.
وكان "لومبارد" يقول وقتها :
- وهكذا فإن مستر "أوين" .. وجزيرة "نيجر" ..
وتنفس "أرمسترونج" بعمق وقال :
- إننا نصل إلى الحقيقة . ما الغرض من إحضارنا جميعاً إلى هنا ؟
- ما رأيك ؟
فقال "أرمسترونج" فجأة :
- دعنا نعد دقيقة إلى وفاة تلك المرأة . ما النظريات المحتملة ؟ لقد قتلها "روجرز" لأنه خشي أن تعترف . الاحتمال الثاني : لقد فقدت أعصابها فانتحرت هرباً من الجريمة .
فقال "لومبارد" :
- أهو الانتحار إذن ؟
- ما رأيك في هذا ؟
- ربما كان الأمر كذلك حقاً لو لم تكن حدثت وفاة "مارستون" . انتحاران في اثنتي عشرة ساعة ، أمر لا يسهل الاقتناع به وإذا قلت إن "توني مارستون" ذلك الثور الصغير البارد ذو العقل الصغير قد انتحر حزناً على قتل طفلين .. حسنا .. إن هذا لمضحك .. وعلى كل ، فكيف حصل على السم ؟ فما أعرفه هو أن مادة سيانيد البوتاسيوم ليست من تلك الأشياء التي يحملها المرء معه في جيب صديريته .
- لا يحمل أحد معه سيانيد البوتاسيوم إلا إذا كان ذاهباً للقضاء على عش زنابير .
- أي بستاني الحديقة . أي أنه ليس بـ"توني مارستون" . لقد ظللت أعتقد أن هذه المسألة محتاجة إلى شرح . فإما أن "توني مارستون" كان ينوي أن يقتل نفسه قبل حضوره إلى هنا وهكذا حضر إلى هنا مستعداً .. وإما .
- وإما .

– لماذا تنتظر مني ان اقولها بنفسي بينما هي على طرف لسانك . لقد قتل "توني مارستون" بالتاكيد .

- ٣ -

وسحب دكتور "ارمسترونج" نفساً عميقاً ثم قال :

– وماذا عن مسز "روجرز" ؟

فقال "لومبارد" ببطء :

– يمكنني ان اصدق بصعوبة مسالة انتحار "توني مارستون" إذا لم تكن مسز "روجرز" قد ماتت ، وقد اصدق بسهولة ان مسز "روجرز" قد انتحرت ، لو لم يكن "مارستون" قد مات . وقد اصدق ان "روجرز" قد ابعد زوجته من الطريق.. لو لم يكن "مارستون" قد توفي فجاة .. ولكننا في حاجة إلى نظرية تفسر وقوع وفاتين متتاليتين .

– قد يمكنني ان اساعدك في تكوين هذه النظرية .

ثم اخبر "لومبارد" بما قاله له "روجرز" عن اختفاء التماثيل .

فقال "لومبارد" :

– نعم .. التماثيل الخزفية .. من المؤكد انها كانت عشرة في اثناء تناولنا طعام العشاء وانت تقول إنها قد اصبحت الآن ثمانية .

وانشد دكتور "ارمسترونج" :

– ذهب عشرة اطفال للعشاء .

وغص احدهم فمات فلم يبق منهم سوى تسعة .

وسهر تسعة اطفال إلى وقت متاخر .

ونعس واحد منهم فلم يبق سوى ثمانية .

وحدق الرجلان بعضهما إلى بعض .. والقى "فيليب لومبارد" بسيجارته بعيداً وقال :

– الأمر من اللعنة بحيث لا يمكن ان يكون مجرد مصادفة . لقد مات "انتوني" من إسفكسيا او غصة في الليلة الماضية عقب العشاء ، ونعست مسز "روجرز" فماتت .

– وبعد ؟

– اي اننا نوع آخر من الأطفال ، اطفال ستبتلعهم الدوامة ، او ..

المجهول.. مستر "اوين ي.ن" .

"اوين" .. مجنون خطير مجهول .

وتنهد "ارمسترونج" بارتياح وقال :

– آه .. إنك توافقني ، ولكنك ترى ما يتضمنه هذا ، لقد اقسم "روجرز" إنه ليس فوق الجزيرة سوانا .

– إن "روجرز" لمخطئ ، او من المحتمل ان يكون كاذباً .

وهز "ارمسترونج" راسه وقال :

– لا اعتقد انه يكذب .. إن الرجل مذعور ، لقد اخرجه الذعر عن وعيه .

واوما "لومبارد" براسه وقال :

– لن ياتي القارب هذا الصباح ، إن ترتيبات مستر "اوين" تنفذ حرفياً .. يجب ان تعزل الجزيرة حتى يتم مستر "اوين" عمله .

وشحب وجه "ارمسترونج" وقال :

– انت تدرك ان الرجل قد يكون مخبولاً خطيراً ..

وقال "لومبارد" وفي صوته رنة جديدة :

– هناك شيء واحد لم يدركه مستر "اوين" .

– وما هو ؟

– إن الجزيرة ليست إلا صخرة جرداء ، ولن نحتاج لكشف حقيقتها إلا لوقت قصير ، وسرعان ما سنعثر على مستر "اوين" المحترم .

فقال "ارمسترونج" بحرارة :

– سيكون خطيراً .

فضحك "فيليب لومبارد" وقال :

– خطير ، من ذا الذي يخشى ذلك الذئب الكبير المخبول ؟ ساكون انا اخطر منه عندما امسك به ، وتوقف قبل ان يقول :

– من المستحسن ان نستدعي "بلور" لمساعدتنا ، سيكون فعالاً في هذا العمل، من الأفضل الا نخبر المراتين . اما عن الآخرين فإن الجنرال "ماكارثر" من الممكن إخباره ، اما القاضي الكهل فلن تساعده قواه .. نحن الثلاثة قادرون على هذا العمل .

الفصل الثامن

- ١ -

كان من السهل ضم "بلور" إليهما ، فقد ابدى موافقته السريعة على ارائهما قائلاً :

- إن ما قلته عن هذه التماثيل الخزفية يا سيدي يغير من الأمر تماماً ، إن هذا لجنون ! ليس هناك سوى تفسير واحد في رايي هو ان "مارستون" بعد ان استمع إلى الاسطوانة ليلة امس انصاع للتحذير وانتحر . كما خضع له "روجرز" وقتل زوجته . وكان ذلك مصداقاً لخطة "ي.ن.ا." .

فهز "ارمسترونج" راسه رفضاً ، واعاد تاكيد مسالة السيانيد فوافق "بلور" قائلاً :

- نعم ، لقد نسيت هذا ، ليس من الطبيعي أن يحمل الإنسان معه السيانيد . ولكن كيف وصل السيانيد إلى الشراب يا سيدي؟

فقال "لومبارد" :

- لقد كنت أفكر في هذا ، لقد تناول "مارستون" كمية كبيرة من الشراب ، ومضت فترة بين تناوله اخر كاس وانتهائه من الكاس التي سبقتها .. وفي هذه الأثناء كانت الكاس موضوعة على المائدة - رغم انني لست على ثقة كاملة من ذلك فإنني اظن انه كان على تلك المائدة الصغيرة المجاورة النافذة وكانت مفتوحة . وكان بإمكان اي شخص أن يضع السيانيد خلسة في الكاس .

فقال "بلور" :

- دون أن يراه أحد منا يا سيدي ؟

- لقد كنا جميعاً مشغولين بانفسنا .

وقال "ارمسترونج" ببطء :

- هذا حق ، لقد هوجمنا جميعاً ، كنا ندور وندور حول الغرفة نتناقش ، ثائرين ومشغولين بانفسنا ، اعتقد انه كان من الممكن أن يحدث ذلك .

فهز "بلور" كتفيه وقال :

- الحقيقة إذن أن هذا كان يجب ان يحدث .. والآن يا سادة دعونا نبدأ نعمل . هل مع أحد منكم مسدس ؟ أعتقد أن هذا اكثر من أن نامله .

فقال "لومبارد" :

- عندي واحد .

ثم ربت على جيبه . واتسعت عينا "بلور" بصوت غير عادي !

- اتحمله معك دائماً يا سيدي ؟

- دائماً . لقد ترددت على اماكن خطرة كثيرة كما تعلم .

- اوه . من المحتمل انك لم تكن في مكان في مثل خطورة هذا المكان .. لو ان اي مجنون مختبئ في هذه الجزيرة فلابد ان معه بندقية ، بالإضافة إلى سكين او خنجر ، او ما شابه ذلك .

وسعل "ارمسترونج" وقال :

- قد تكون مخطئاً في هذا يا "بلور" ، كثير من المجانين مسالمون للغاية .

فقال "بلور" :

- لا اعتقد أن هذا المجنون من هذا النوع يا دكتور "ارمسترونج" .

وبدا ينفذ الرجال الثلاثة رحلتهم حول الجزيرة .

وكانت المهمة سهلة ، لم يكن في الجزيرة اشجار او كهوف كثيرة ووصلوا في بحثهم إلى النقطة التي كان يجلس عندها الجنرال "مكارثر" . ولم يلتفت الرجل إلى اقترابهم منه وقال له "بلور" :

- مكان هادئ ، ذلك الذي اخترته لنفسك يا سيدي .

- لم يعد في الوقت الكثير .. لم يعد في الوقت الكثير .. وانا في الحقيقة يجب ان اصر على الا يزعجني احد .

- إننا لا نزعجك يا سيدي . إننا فقط نقوم بجولة في الجزيرة ، لقد طاف بذهننا ان احداً يختبئ في الجزيرة .

- إنك لا تفهم ، إنك لا تفهم على الإطلاق . انصرف من فضلك .

وتراجع "بلور" وقال عندما انضم إلى زميليه الآخرين .

- إنه مجنون ، ليس من المفيد ان نتحدث معه .

فقال "لومبارد" بفضول :

- ماذا قال ؟

وهز "بلور" كتفيه وقال :

- شيء عن ضالة الوقت الباقي وعن رغبته في عدم إزعاجه .

وقطب دكتور "ارمسترونج" جبينه وقال :

- إنني لاتعجب الآن !!

- ٣ -

وانتهى البحث خلال الجزيرة . ووقف الرجال الثلاثة على قمة الجزيرة ينظرون إلى الشاطئ الآخر . لم يكن في الأفق اية قوارب . وكانت الريح تشتد.

وقال "لومبارد" :

- ليس هناك اية قوارب في الأفق . هناك عاصفة تقترب . من اللعنة الا نستطيع رؤية الأرض من هنا ، لكنا لو أشرنا لها أو فعلنا اي شيء من هذا القبيل .

فقال "بلور" :

- يجب أن نوقد ناراً للإشارة هذه الليلة .

- العن شيء في الأمر أن يبدو كله مرتباً .

- كيف ؟

- كيف لي أن اعلم ؟ ربما كان علينا أن ننتقل إلى هنا ، ولذا فلن يلقى بال لأي إشارات منا . ومن المحتمل أن القرية على علم بأن هنا حفلة .

وقال "بلور" متشككاً :

- اتعتقد انهم تقبلوا هذا ؟

فقال "لومبارد" بجفاف :

- إن هذا أسهل على التصديق من الحقيقة . اتظن أن القرية تقبل أن تقلق الجزيرة قبل أن ينتهي مستر "اوين" المجهول هذا من قتل ضيوفه .. اتعتقد هذا ؟ .

وقال "ارمسترونج" :

- إنني اتعجب اين يكون قد اختفى ؟

فقال "بلور" :

- ربما توجد حفرة في التل الصخري .

فقال "لومبارد" :

ليس هناك سوى مكان واحد يمكن أن توجد فيه حفرة . وإذا امكنكم أن تمسكوا لي بحبل فبإمكاني أن اتدلى عليه وابحث الأمر .

فقال "بلور" :

- حسنا ، سامضي للبحث عن حبل .

فقال "لومبارد" :

- - إنك صامت تماماً يا دكتور . فيم تفكر ؟

- إنني افكر بالضبط في مقدار جنون "مكارثر" الكهل .

- ٤ -

ظلت "فيرا" قلقة طيلة الصباح .. وتجنبت "إميلي برنت" بنوع من الاشمئزاز.

وكانت الآنسة "برنت" نفسها قد اتخذت لها مقعداً حول ركن من المنزل تجنباً للريح . وجلست هناك تطرز .

وفي الشرفة الرئيسية جلس مستر "جستيس وارجريف" في كرسي هزاز . وكان راسه مختفياً بين كتفيه .

وسارت "فيرا" في طريقها إلى شاطئ البحر .. إلى الطرف الآخر من الجزيرة حيث يجلس رجل كهل يحدق في الأفق .

وتحرك جنرال "مكارثر" عند اقترابها والتفت براسه نحوها .. وبدا في نظرته مزيج غريب من التساؤل والترقب . واقلقتها نظرته . وظل يحدق فيها بإصرار دقيقة او اثنتين .

وفكرت لنفسها : "يا للغرابة ، كما لو كان يعرف".

وقال هو :

- اه . إنه انت .. هل اتيت ؟

وجلست "فيرا" إلى جواره وقالت :

- اتحب الجلوس هنا والتحديق إلى البحر ؟

وهز راسه بخفة ، وقال :

- نعم .. لأمر ما ، إنه في رايي انسب مكان للانتظار .

فقالت "فيرا" محتدة :

- للانتظار ؟ ما الذي تنتظره ؟

فقال بلطف :

- النهاية ، ولكني اعتقد انك تعرفين هذا ، اليس كذلك ؟ إنه حقيقي ، اليس

كذلك ؟ إننا كلنا ننتظر النهاية .

وقالت مهتزة :

- ماذا تعني ؟

- لن يغادر اي منا هذه الجزيرة ، هذه هي الخطة ، إنك تعرفينها جيداً بالتاكيد ولكن الذي لا تستطيعين فهمه هو الخلاص .

فقالت متعجبة :

- الخلاص ؟

- نعم ، إنك صغيرة ، وبالتاكيد لم تصلي إلى هذا بعد ، ولكنه ات .

- إنني لا افهمك .

- لقد احببت "ليزلي" .. احببتها جداً .. وكنت جد فخور بها .. كانت جميلة جداً ومرحة .. نعم .. احببتها ولهذا فعلت ما فعلت .

- اتعني ؟

فهز الجنرال "مكارثر" راسه برفق وقال :

- ليست هناك فائدة تعود من الافكار الآن بينما نحن جميعاً في سبيلنا إلى الموت ، لقد ارسلت "ريتشموند" إلى حتفه . اعتقد ان هذا بطريقة ما يعتبر جريمة .. جريمة . وانا الذي عشت طيلة حياتي اخدم القانون . ولكن الامر لم يبد هكذا وقتها . لم يخالجني اي ندم ، ولكن فيما بعد .

- حسنا ، فيما بعد ؟

- لا ادري .. لا ادري ، كان الامر يختلف تماماً كما ترين ، لا ادري إن كانت "ليزلي" قد خمنت .. لا اعتقد هذا ، ولكني لم افهمها بعد ذلك ابداً .. ثم ماتت.. واصبحت وحيداً .

- وحيداً .. وحيداً .

- ستكونين مسرورة انت الاخرى عندما تحين النهاية .

ونهضت "فيرا" وقالت محتدة :

- لا اعلم ماذا تعني ؟

- إنني اعرف يا طفلتي .. إنني اعرف .

وعاد الجنرال "مكارثر" ينظر إلى البحر فلم يعد هناك داع لوجودها .

وقال بلطف ونعومة :

- "ليزلي" .

- ٥ -

عندما عاد "بلور" من المنزل حاملاً على ذراعه لفة من الحبال وجد "ارمسترونج" واقفاً هناك يحدق إلى اسفل .

وقال "بلور" لاهثاً :

- اين مستر "لومبارد" ؟

فقال "ارمسترونج" بلا اكتراث :

- ذهب يتحقق من بعض نظرياته ، سيعود في ظرف دقيقة . انظر إلي يا "بلور" .. إنني قلق .

- إننا كلنا اكثر قلقاً .

- بالتاكيد .. بالتاكيد .. إنني لا اعني هذا . إنني افكر في "مكارثر" الكهل .

- ماذا عنه يا سيدي ؟

- بما إننا نحن نبحث عن مجنون .. ما رايك في "مكارثر" ؟

- اتعني انه سفاح ؟

- لم اكن لاقول هذا .. ولا للحظة واحدة . ولكنني لست بالتاكيد إخصائياً في الامراض العقلية .. إنني لم اتبادل في الحقيقة اي كلام معه .. لم ادرسه من هذه الناحية .

- قد يكون متعب الاعصاب .. ولكن لا يمكن ان اقول .

- من المحتمل انك على حق . لعنة الله على الامر كله ، لابد ان هناك شخصاً مختبئاً في الجزيرة . اه ، ها هو "لومبارد" ات .

وربطا الحبل بعناية .

وقال "لومبارد" :

- ساساعد نفسي بقدر الإمكان ، وراقبا انتما الحبل جيداً .

وبعد دقيقتين ، وبينما كانا واقفين معاً يرقبان "لومبارد" قال "بلور" :

- إنه ينزل على الحبل فقط ، اليس كذلك .

كان هناك شيء غريب في صوته .

وقال دكتور "ارمسترونج" :

- اعتقد انه قام بتسلق الجبال وقتا ما .

- ربما .

ولزما الصمت قليلاً ثم قال رجل الشرطة السابق :

- اتعرف فيم افكر ؟
- في ماذا ؟
- إنه مخطئ !
- في اي شيء ؟
- لا ادري بالضبط ، ولكني لا اثق فيه البتة .
- اعتقد انه عاش حياة مليئة بالمخاطر .
- اراهن على انه يحرص على إخفاء بعض مغامراته في الظلام هل تصادف ان احضرت معك مسدساً يا دكتور ؟
- انا ، بالله ، كلا . ولماذا أحضر مسدساً ؟
- ولماذا يحضره مستر "لومبارد" ؟
- اعتقد انها عادة .

وحدثت هزة مفاجئة في الحبل ، وانشغلت أيديهما لحظة . وعندما فرغا . قال الكهل :

- هناك كثير من العادات ، قد ياخذ مستر "لومبارد" مسدساً معه في الأماكن الخطيرة ، ولكن العادة لن تجعله يحضر مسدساً معه إلى هنا . إن شخصيات الروايات هم فقط الذين يحملون معهم المسدسات اينما ذهبوا .

وهز دكتور "ارمسترونج" راسه في حيرة ، ومالا ليرقبا تقدم "لومبارد" في مهمته . كان يقوم ببحث دقيق وكان بإمكانهما ان يريا مدى عقم هذا البحث .

وسرعان ما صعد "لومبارد" إلى قمة التل ومسح العرق من فوق جبينه وقال :

- حسنا ، لا شيء هنا . إما انه في المنزل او انه لا يوجد هناك احد على الإطلاق .

- ٦ -

وكان من السهل تفتيش المنزل . وبدءوا يفتشون المباني الخارجية القليلة وبعدها استداروا إلى المبنى الرئيسي . وبعد ان انتهوا من تفتيش الطابق السفلي ، وبينما هم في طريقهم إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم راوا من نافذة السلم "روجرز" يحمل صينية عليها كؤوس من الشراب ويتجه بها إلى الشرفة فقال "لومبارد" :

- يا له من حيوان عجيب ذلك الخادم الماهر . إنه يمضي في عمله باتزان

تام.

فقال "ارمسترونج" :
- إن "روجرز" ساق من الطراز الأول .

وقال "بلور" :
- وزوجته كانت طاهية ممتازة هي الأخرى .. ذلك العشاء .. في ليلة الأمس.

وتفرقوا إلى غرف النوم .

وبعد خمس دقائق التقوا في الطابق السفلي .

ليس هناك من يختبئ في المنزل .. وما من مكان يصلح للاختباء .

وقال "بلور" :
- هناك سلم صغير .

فقال "ارمسترونج" :
- إنه يؤدي إلى غرف الخدم .

فقال "بلور" :
- لابد ان هناك مكاناً تحت السقف .. من أجل التخزين وخزانات المياه .. وغير ذلك .. إنه أحسن مكان .. بل إنه المكان الوحيد .

وفي هذه اللحظة سمعوا صوتاً ياتي من اعلى .

صوت خافت لوقع اقدام ، وسمعوا الصوت جميعاً .

وامسك "ارمسترونج" بذراع "بلور" ، ورفع "لومبارد" إصبعه محذراً وهو يقول:
- صه .. هدوء ! .

وتناهى الصوت إلى اسماعهم مرة ثانية . كان صوت شخص ما يتحرك فوقهم خلسة وبرفق .

وهمس "ارمسترونج" قائلاً :
- إنه الآن في حجرة النوم نفسها حيث يرقد جسد مسز "روجرز".

ورد "بلور" قائلاً وهو يهمس ايضاً :
- بالتاكيد ، إنه افضل مكان للاختباء يمكن اختياره إذ لا يذهب احد إلى هناك ابداً ، والآن .. الزموا الهدوء بقدر إمكانكم.

وتسللوا خلسة إلى الطابق العلوي .

وتوقفوا برهة في الممر الصغير الموجود أمام غرفة النوم . نعم لقد كان هناك شخص ما بداخل الغرفة . وسمعوا صوتاً خافتاً بالداخل .

وهمس "بلور" :

- والآن ! .

وفتح الباب على مصراعيه ثم دخل يتبعه الآخران .

ووقف الثلاثة بلا حراك .

ولم يكن في الحجرة سوى "روجرز" الذي كان يقف ويداه محملتان بالملابس.

- ٧ -

وتمالك "بلور" نفسه ثم قال :

- معذرة يا "روجرز" . لقد سمعنا صوت شخص يتحرك هنا واعتقدنا .. حسناً .. وتوقف عن الحديث .

وقال "روجرز" :

- معذرة يا سادة . لقد كنت أنقل حاجاتي ، فلقد ظننت أنه لا مانع هناك من أن أنتقل إلى إحدى حجرات الضيوف بالطابق الأرضي .. الحجرة الصغيرة .

كان "روجرز" يوجه حديثه إلى "أرمسترونج" الذي قال له :

- بالتأكيد ، بالتأكيد يا "روجرز" .. استمر في عملك .

وكان "أرمسترونج" يتحاشى النظر إلى الجسد الملفوف بالملاءة والمسجى على السرير .

وقال "روجرز" :

- شكراً لك يا سيدي .

وخرج من الغرفة ويداه محملتان بما يخصه من أشياء متجهاً إلى الطابق السفلي . وتحرك "أرمسترونج" نحو السرير ورفع الملاءة ونظر إلى الوجه الهادئ المسالم للمرأة الميتة . لم تكن على وجهها الآن أية علامات للخوف ،

وقال "أرمسترونج" :

- بودي لو كانت معي أدواتي هنا . لقد كنت أود معرفة الجرعة التي تناولتها.

واستدار إلى الرجلين الآخرين وقال :

- دعونا ننته من هذا الأمر . إنني على يقين من أننا لن نعثر على شيء

وقال "بلور" :

- إن ذلك الرجل يتحرك بهدوء مريب . لقد رأيناه في الحديقة منذ دقيقة أو دقيقتين مضتا ولم يسمعه أحدنا وهو يصعد إلى الطابق العلوي .

وقال "لومبارد" :

- واعتقد أن هذا هو السبب في أننا افترضنا وجود غريب هناك .

واختفى "بلور" في الظلمة الحالكة وأخرج "لومبارد" من جيبه مصباحاً صغيراً وتبعه . وفي غضون خمس دقائق كان الرجال الثلاثة يقفون في أحد الممرات ينظرون بعضهم إلى بعض . كانت تعلوهم القذارة ، وخيوط العنكبوت تلتصق بوجوههم المتجهمة .

لم يكن هناك أحد على الجزيرة سواهم .

الفصل التاسع

- ١ -

قال "لومبارد" ببطء :

- هكذا كنا مخطئين تماماً . بنينا حلماً مخيفاً من مخيلاتنا لمجرد حدوث وفاة شخصين .

فقال "ارمسترونج" في أسى :

- ورغم ذلك فإن الأمر يحتمل النقاش . وإنني طبيب .. واعرف شيئاً ما عن جرائم الانتحار . إن "توني مارستون" ليس من النوع الذي ينتحر .

فقال "لومبارد" في شك :

- اعتقد أن الأمر لا يمكن ان يكون حادثاً .

فقال "بلور" مستهزئاً وغير مصدق .

- حوادث لعينة غريبة .

وتوقفوا قليلاً ثم عاد "بلور" يقول :

- أما عن المرأة .. ثم توقف ثانية .

- مسز "روجرز" .

- نعم ، اليس من المحتمل ان تكون وفاتها مجرد حادثة ؟

فقال "فيليب لومبارد" :

- حادثة ؟ كيف ؟

وبدا "بلور" محرجاً شيئاً ما .. وازداد احمرار وجهه .. وقال وهو يدغم الكلام:

- انتظر يا دكتور .. لقد أعطيتها مادة طبية .. كما تعلم .

وحدق إليه "ارمسترونج" وقال :

- مادة طبية ؟ ماذا تعني ؟

- في الليلة الماضية .. لقد قلت بنفسك إنك أعطيتها دواء لتنام .

- اه ، تعني هذا ، نعم .. منوم غير ضار .

- ما هو بالضبط ؟

- لقد أعطيتها جرعة مخفضة من الـ"تريونال" .. مزيج غير ضار بالمرة .

وازداد احمرار وجه "بلور" وقال :

- استمع إليّ .. لا داعي لتعقيد الأمور .. الم تعطها جرعة مضاعفة ؟

فقال "ارمسترونج" بغضب :

- لا اعرف ما الذي تعنيه ؟

- من المحتمل أن تكون قد اخطأت ، اليس كذلك ؟ إن هذه الأشياء كثيراً ما تحدث .

فقال "ارمسترونج" محتداً :

- إنني لم افعل شيئاً من هذا القبيل ، إن الاقتراح تافه .

وتوقف ليضيف بلهجة باردة لاذعة :

- او تعني انني قد اعطيتها جرعة مضاعفة عن قصد ؟

فقال "فيليب لومبارد" سريعاً :

- استمعا إليّ انتما الاثنان .. يجب أن نحتفظ بتوازننا .. لا تجعلانا نبدأ نوجه التهم إلى بعضنا بعض .

فقال "بلور" فجاة :

- إنني قلت فقط إن الطبيب ربما يكون قد ارتكب خطا .

فبذل الطبيب جهداً كي يبتسم وقال :

- إن الأصدقاء لا يستطيعون ارتكاب اخطاء من هذا القبيل يا صديقي .

فقال "بلور" :

- لن يكون هذا اول خطا ترتكبه .. إذا كان علينا ان نصدق تلك الاسطوانه .

وشحب وجه "ارمسترونج" . فقال "لومبارد" مسرعاً وفي صوته نبرة غاضبة :

- ماذا تقصد من جعل نفسك مثاراً للمضايقات ؟ إننا كلنا في نفس المازق، يجب ان نتحد معا ، وماذا عن تهمتك انت ؟

وخطا "بلور" إلى الأمام وقد تقلصت قبضتاه وقال بصوت رقيق :

- تهمة ملعونة ! إنها كذبة حمقاء ، حاول أن تسكتني يامستر "لومبارد" ، ولكن هناك اشياء اود معرفتها ، وواحد منها هو انت .

وارتفع حاجبا "لومبارد" وقال :

- انا ؟

- نعم ، اريد ان اعرف السبب في إحضارك مسدسا معك خلال زيارة اجتماعية لطيفة .

- تريد أن تعرف .. أليس كذلك ؟
- بلى ، أريد أن أعرف يا مستر "لومبارد" .
فقال "لومبارد" على غير توقع :
- أتعرف يا مستر "بلور" .. إنك لست غبياً كما يبدو عليك ؟
- هذا محتمل . ماذا عن المسدس ؟
فابتسم "لومبارد" وقال :
- لقد أحضرته لأني توقعت أن أتعرض لبعض المتاعب .
فقال "بلور" متشككاً :
- إنك لم تخبرنا بهذا في الليلة الماضية .
ثم هز رأسه ، وعاد يقول في إصرار :
- لقد كنت تخفي عنا أسراراً .
- نعم ، إلى حد ما .
- حسنا ، هيا اكشف الستر .
فقال "لومبارد" في بطء :
- لقد تركتكم كلكم تعتقدون أنني دعيت إلى هنا بنفس الطريقة التي جاء بها معظم الباقين ، إن هذا ليس صحيحاً .. في الحقيقة قد اتصل بي يهودي صغير الحجم ، اسمه "موريس" ، وعرض عليّ مائة جنيه كي أحضر إلى هنا وأراقب الموقف . قائلا إن لي سمعة طيبة عن حسن التصرف في المواقف الحرجة .
فقال "بلور" بصبر نافد :
- حسنا .
- هذا كل ما هنالك .
فقال "أرمسترونج" :
- ولكن من المؤكد أنه أخبرك بما هو أكثر من هذا .
- كلا لم يفعل ، لقد أطبق فمه تماماً ، وكان بإمكاني أن أقبل الأمر أو أرفضه .. كانت هذه هي كلماته ، وكنت مفلساً فقبلت الأمر .
وبدا عدم الاقتناع على "بلور" .. وقال :
- ولماذا لم تخبرنا بكل هذا بالأمس ؟
- يا عزيزي ، وكيف لي أن أعرف أن ليلة الأمس لم تكن هي الموقف الذي

كان عليّ أن أواجهه ؟
فقال دكتور "أرمسترونج" :
- ولكن الآن .. هل تعتقد أن الأمر قد اختلف ؟
وتغير وجه "لومبارد" إذ اسود وتصلب وقال :
- نعم ، إنني أومن الآن أنني أركب نفس القارب مع الآخرين ، لقد كانت تلك الجنيهات المائة هي قطعة الجبن التي جذبني بها مستر "أوين" إلى المصيدة مع باقي المجموعة .
ثم أضاف بهدوء :
- إذ إننا في مصيدة .. أقسم على ذلك .. وفاة مسز "روجرز" ! .. ووفاة "توني مارستون" ! واختفاء تمثالي الطفلين من فوق مائدة الطعام ! نعم . إن يدي مستر "أوين" لواضحتان للعيان . ولكن أين يوجد مستر "أوين" نفسه بحق الشيطان ؟ .
ومن أسفل جاء إليهم صوت البوق يدعوهم لتناول الغداء .

- ٢ -

كان "روجرز" واقفاً إلى جوار باب غرفة المائدة . وعندما نزل الرجال الثلاثة على السلم خطا إلى الأمام خطوتين بصوت منخفض قلق .
- أمل أن يكون الغداء مرضياً . يوجد لحم بارد ، ولسان بارد ، وقد سلقت بعض البطاطس ، كما يوجد أيضاً جبن وبعض البسكويت وفاكهة معلبة .
وقال "لومبارد" :
- إن هذا يبدو على ما يرام ، إن المخازن ممتلئة إذن .
ودخلت الآنسة "برنت" الغرفة . كانت تعيد لف كرة من خيوط الصوف سقطت منها على الأرض ، وقالت وهي تجلس :
- لقد أخذ الجو يتغير .. فاشتدت الريح وارتفعت الأمواج .
وجاء مستر "جستيس وارجريف" .. يسير بخطى متئدة .. ورمق الجالسين إلى المائدة بنظرات سريعة من تحت جفنيه .. ثم قال :
- لقد قضيتم صباحاً نشيطاً .
كان في صوته رنة خفيفة من المتعة الشيطانية .
وجاءت "فيرا" بسرعة ، وقد تهدجت أنفاسها ، وقالت بسرعة :

- ارجو الا اكون قد تاخرت عليكم .
فقالت "إميلي برنت" :
- إنك لست آخر القادمين ، فإن الجنرال لم يات بعد .
وجلسوا حول المائدة .
وقال "روجرز" لـ "إميلي برنت" :
- هل ستبدءون يا سيدتي ام ستنتظرون ؟
فقالت "فيرا" :
- إن الجنرال "مكارثر" يجلس على شاطئ البحر ، لا اعتقد انه قد سمع صوت البوق ، إنه لغامض شيئاً ما هذا الصباح .
فقال "روجرز" مسرعاً :
- سأذهب لاخبره بان موعد الطعام قد حان !
فقفز دكتور "ارمسترونج" وقال :
- سأذهب انا وابدءوا انتم غداءكم .
وغادر الغرفة ، ومن خلفه جاء صوت "روجرز" يقول :
- اتاخذين لحماً بارداً ام لساناً بارداً يا سيدتي ؟

- ٣ -

وبدا ان الأشخاص الخمسة الجالسين حول المائدة يجدون صعوبة في تبادل الحديث .. وفي الخارج كانت هبات من الريح تزمجر ثم تخفت .
وارتجفت "فيرا" قليلاً ثم قالت :
- هناك عاصفة توشك ان تهب .
وحاول "بلور" ان يسهم في دفع دفة الحديث ، فقال :
- كان هناك رجل عجوز في القطار القادم من "بليموث" بالأمس وظل يقول إن عاصفة ستهب ، إني لأعجب كيف يعرف الجو .. هؤلاء البحارة العجائز .
واخذ "روجرز" يطوف بالمائدة يجمع اطباق اللحم الفارغة ..
وفجاة توقف حاملاً الأطباق على يديه ، وقال بصوت خائف غريب :
- هناك شخص قادم يجري نحونا .
وكان بإمكانهم كلهم ان يسمعوا وقع اقدام تجري في الشرفة .
وفي هذه اللحظة عرفوا .. عرفوا دون ان يخبرهم احد ..

وكما لو كان باتفاق عام ، نهضوا كلهم واقفين .. ووقفوا ينظرون إلى الباب .
وظهر دكتور "ارمسترونج" وهو يلهث بصعوبة وقال :
- جنرال "مكارثر" ..
- مات ؟ .
خرجت الكلمة باندفاع من فم "فيرا" .
فقال "ارمسترونج" :
- نعم ، لقد مات .
وران صمت .. صمت طويل .
ونظر سبعة اشخاص بعضهم إلى بعض دون ان يجدوا كلمة يقولونها ..

- ٤ -

وبينما كانت جثة الرجل العجوز تدخل من باب البيت محمولة والعاصفة المنتظرة تهب ، كان الآخرون واقفين في الردهة .
وبينما كان "بلور" وارمسترونج" يصعدان السلم بحملهما استدارت "فيرا" فجاة واسرعت إلى غرفة الطعام الخالية .
كانت الغرفة كما تركوها .. واطباق الحلوى موضوعة على مائدة جانبية استعداداً لتقديمها . ومضت "فيرا" إلى المائدة ، وبعد دقيقة او اثنتين دخل "روجرز" الغرفة بهدوء وبهت عندما راها .. ثم بدا في عينيه سؤال ، وقال لها:
- اوه يا انسة .. لقد حضرت كي أرى ..
وقالت "فيرا" في صوت خشن عال ادهشها هي نفسها :
- إنك على حق يا "روجرز" ، انظر بنفسك ، ليس هناك سوى سبعة ..

- ٥ -

سجي الجنرال "مكارثر" على سريره .
وبعد ان فحصه "ارمسترونج" فحصاً اخيراً غادر الغرفة ونزل إلى الطابق السفلي ، حيث وجد الآخرين متجمعين في غرفة الاستقبال .
كانت الآنسة "برنت" تطرز .. "فيرا كليثون" واقفة تطل من النافذة على

العاصفة . "بلور" جالس في مقعد واضعاً راحتيه على ركبتيه .. "لومبارد" يذرع الغرفة دون توقف ، ومستر "وارجريف" يجلس في نهاية الغرفة على كرسي كبير وعيناه نصف مغلقتين .

وفتح عينيه عندما دخل الطبيب الغرفة ، وقال بصوت حاد النبرات واضح:

– حسنا يا دكتور .

كان "ارمسترونج" شاحب الوجه جداً .. وقال :

– ليس هناك اي احتمال لأزمة قلبية او اي شيء من هذا القبيل ، لقد ضرب "مكارثر" بشيء ثقيل على مؤخرة راسه .

وعلت همهمة .. ولكن صوت القاضي الواضح ارتفع من جديد يقول :

– هل عثرت على السلاح المستخدم ؟

– لا .

– ورغم هذا فانت واثق مما قلته ؟

– كل الثقة .

– إننا نعرف بالضبط اين نقف . ولم يعد هناك اي شك فيمن يتولى مسؤولية الموقف الآن .

لقد امضى "وارجريف" الصباح باكمله جالساً في الشرفة وقد عزفت نفسه عن اي نشاط ولكنه الآن يتولى القيادة بسهولة استقاها من مرانه الطويل عليها .. إنه يراس القاعة الآن .. وقال:

– بينما كنت اجلس في الشرفة هذا الصباح ايها السادة كنت ارقب ما تفعلون .. لم يكن غرضكم ليحتمل الكثير من الشكوك .. لقد كنتم تبحثون عن قاتل مجهول ! .

فقال "لومبارد" :

– تماماً ياسيدي .

– لقد وصلتم دون شك إلى نفس النتيجة التي توصلت إليها وهي بالتحديد .. ان وفاة "توني مارستون" ومسز "روجرز" لم تكن قضاء وقدراً او انتحاراً . ولا شك انكم توصلتم إلى نتيجة معينة حول غرض مستر "اوين" من إحضارنا كلنا إلى هذه الجزيرة .

فقال "بلور" بصوت خشن :

– إنه مجنون مجنون .. مخبول .

– هذا مؤكد للغاية ، ولكنه لا يؤثر على النتيجة ، وإن شاغلنا الأساسي هو .. إنقاذ حياتنا .

فقال "ارمسترونج" في صوت مهزوز :

– ليس هناك احد غيرنا على الجزيرة .. صدقني .. لا احد .

– حقاً ، لا يوجد احد بالمعنى الذي تقصده . لقد توصلت إلى هذه النتيجة مبكراً هذا الصباح . وكان في إمكاني ان اخبركم ان بحثكم لا جدوى منه . ورغم هذا فإنني اميل ميلاً قوياً إلى ان مستر "اوين" ،إذا اعطيناه هذا الاسم الذي اتخذه لنفسه، يقيم في الجزيرة ، هذا مؤكد . لا توجد سوى طريقة واحدة لتنفيذ خطته من عقاب بعض المذنبين الذين لا تندرج ذنوبهم تحت طائلة القانون ، ولا يمكن ان يكون مستر "اوين" قد حضر إلى الجزيرة إلا بطريقة واحدة ...

إنه لأمر غاية في الوضوح .. إن مستر "اوين" واحد منا ..

– اوه ! كلا ! كلا ! كلا .

كان هذا هو صوت "فيرا" التي انفجرت فيما يشبه الأنين .. ونظر القاضي إليها بحدة وقال :

– يا عزيزتي ، إن هذا ليس وقتاً مناسباً لتجنب الحقائق .. إننا كلنا في خطر شديد .

إن مستر "ي. ن اوين" هو واحد منا ، نحن لا نعلم اين هو ، ومن الأشخاص العشرة الذين اتوا إلى هذه الجزيرة هناك ثلاثة اصبح موقفهم واضحا تماماً . إن "توني مارستون" ومسز "روجرز" والجنرال "مكارثر" ليست عليهم اية شبهة . ويبقى سبعة منا ، ومن هؤلاء السبعة هناك واحد تنحصر فيه الشبهات .

وتوقف ونظر حوله ثم قال :

– هل توافقونني على هذا الراي ؟

فقال "ارمسترونج" :

– إنه خيالي ... ولكنني اعتقد انه صحيح .

وقال "بلور" :

– لاشك في هذا ، ولو سالتموني فإن عندي فكرة رائعة .

ولكن إشارة سريعة من يد القاضي اسكتته ثم قال القاضي بهدوء :

– سنصل إلى هذا حالاً . ولكن في اللحظة الراهنة كل ما أريد التأكد منه هو اننا جميعاً نوافق على الحقائق السابقة .

فقالت "إميلي برنت" دون أن تتوقف عن التطريز :

– إن اقوالك تبدو منطقية .. وانا اوافق على أن الشيطان قد تقمص احدنا .

وهمست "فيرا" :

– لا استطيع تصديق هذا .. لا استطيع .

فقال "وارجريف" :

– وانت يا "لومبارد" ؟

– انا اوافق تماماً يا سيدي .

وهز القاضي راسه بارتياح ثم قال :

– والآن دعونا نفحص الشواهد . اولاً : هل هناك اي أسباب تؤدي إلى الشك في شخص معين بالذات ؟ إن عندك يا مستر "بلور" فيما اعتقد ما تقوله.

فقال "بلور" وهو يتنفس بصعوبة :

– إن مع "لومبارد" مسدساً ، إنه بالأمس لم يقل الحقيقة . ولقد اعترف بهذا.

فابتسم "فيليب لومبارد" في احتقار وقال :

– اعتقد انه من المستحسن ان اوضح الامر ثانية .

ثم اعاد على اسماعه باختصار ما سبق أن قاله لـ "بلور" و"ارمسترونج" .

فقال القاضي :

– إننا كلنا في نفس الموقف للأسف ، فليس لدينا ما يؤيدنا سوى اقوالنا نحن . إن احداً منكم لا يحس بدقة الموقف الذي يحيط بنا .. وفي رايي انه ليس امامنا سوى طريقة واحدة . هل هناك اي منا يمكن أن نخرجه من دائرة شكوكنا ؟ .

فقال "ارمسترونج" بسرعة :

– إنني رجل معروف جيداً في مهنتي ، ومجرد التفكير في وضعي موضع الشك ...

ومرة اخرى اسكتت حركة من يد القاضي المتكلم قبل أن يتم حديثه .

وقال مستر "جستيس وارجريف" بصوت رقيق واضح :

– إنني ايضاً رجل معروف ، ولكن هذا يا سيدي العزيز لا يثبت شيئاً ، لقد جن اطباء كثيرون من قبل ، كما جن قضاة ، وكذلك رجال الشرطة !

فقال "لومبارد" :

– على اي حال اعتقد انك ستخرج المرأتين من دائرة الشك .

فقال القاضي بصوته القاسي المعروف جيداً في دوائر القضاء :

– هل افهم من ذلك انك تؤكد أن النساء لسن عرضة لجنون القتل ؟

– لا بالتاكيد ، ولكن رغم هذا فإنه من الصعب احتمال ..

وتوقف . وعاد القاضي يخاطب "ارمسترونج" بنفس الصوت .

– اعتقد يا دكتور أن النساء قادرات على توجيه ضربة مماثلة لتلك التي قتلت "مكارثر" .

– تماماً ، وإذا ما اعطين الآلة الملائمة . مثل قضيب من المطاط. ولن يحتاج الامر إلى قوة خارقة.

– نعم .

وقد حدثت الحالتان الأخريان من استعمال ادوية . ولا يستطيع اي شخص ان يحاول إنكار ذلك . ففي استطاعة اقل الناس حجماً ان يفعل هذا .

فصاحت "فيرا" بغضب :

– اعتقد انك قد جننت .

– يا عزيزتي حاولي التحكم في عواطفك ، انا لا اتهمك . وارجو الا يضايقك يا انسة "برنت" إصراري على اننا جميعاً متساوون في تعرضنا للشك.

كانت "إميلي برنت" لاتزال تطرز ، ولم ترفع عينيها عن عملها وبصوت بارد قالت له :

– إن فكرة قضائي على حياة مخلوق – إذا تجاهلنا مسالة قتل ثلاثة مخلوقات – هي فكرة تافهة لكل من يعرف شيئاً عن شخصيتي . ولكنني اقدر تماماً حقيقة اننا غرباء بعضنا عن بعض وفي مثل هذه الظروف لا يبرأ اي شخص إلا ببراهين قوية ، وكما قلت من قبل ، فقد تقمص الشيطان واحداً منا.

اي اننا كلنا موافقون . وليس هناك اي استثناء على اساس الشخصية أو

المركز وحدهما .

فقال "لومبارد" :

- وماذا عن "روجرز" ؟

- ماذا عنه ؟

- حسنا ، حسب فهمي ، فإن "روجرز" يخرج من الموضوع تماماً .

- على اي اساس ؟

- اولاً ، ليس لديه الذكاء لهذا العمل ، ثانياً فإن زوجته إحدى الضحايا .

- عندما كنت قاضيا ايها الشاب ، حاكمت رجالاً كثيرين بتهمة قتل زوجاتهم، وقد ثبتت إدانتهم .

- حسنا ، إنني اوافقك ، إن قتل الزوجة ممكن جداً ، بل وطبيعي ، ولكن هذا النوع .. !! وقد اصدق ان "روجرز" قتل زوجته لخوفه من انهيارها او لانه يكرهها او لانه يريد الزواج بفتاة اجمل منها ، ولكنني لا ارى فيه مستر "اوين" المجنون الذي يقتل الناس إحقاقاً للعدل فيبدا العقاب لجريمة ارتكباها معاً ..

- إنك تاخذ الافتراض كدليل ، إننا لا نعرف إن كان "روجرز" وزوجته قد تامرا لقتل مخدومتهما ام لا . قد يكون هذا اتهاماً زائفاً الغرض منه ان تبعد الشبهات عن "روجرز" وقد يكون رعب مسز "روجرز" راجعاً إلى إدراكها اختلال عقل زوجها .

- حسنا ، فليكن ما تريد . إن "ي.ن. اوين" واحد منا .. وغير مسموح باي استثناء وكلنا عرضة للشك .

- في رايي انه لا يجب ان يستثنى اي احد بناء على شخصيته او مركزه يجب ان ندرس احتمال براءة اي منا بناء على الحقائق ، وكي أوضح الأمر ، اقول إن واحداً او اكثر منا لم يكن في استطاعتهم دس السم لـ"توني مارستون" او مضاعفة جرعة المنوم لمسز "روجرز" .. ولم يكن امامهم الفرصة لقتل جنرال "مكارثر" .

وقال "بلور" باهتمام :

- إنك تتكلم الصواب الآن يا سيدي ، هذا هو الموضوع ، ودعنا نخض فيه ، اما بخصوص "مارستون" فلا اعتقد ان هناك اي شيء يمكن عمله ، لقد خمنا بالفعل ان شخصاً من الخارج قد وضع السم في كاسه قبل ان يملاه

"مارستون" ثانية ، ولكن اي شخص في داخل الغرفة كان اقدر على فعل هذا بسهولة ، ولا استطيع ان اتذكر إذا ما كان "روجرز" في الغرفة وقتها ام لا . ولكن اي واحد منا كان بإمكانه ان يفعلها .

وتوقف قبل ان يواصل القول :

- والآن ، خذ تلك المراة ، مسز "روجرز" . لقد احاط بها زوجها ودكتور "ارمسترونج" ، واي منهما كان يستطيع فعلها باسهل من الغمز .

وقفز "ارمسترونج" واقفاً وقال وهو يرتجف :

- إنني احتج ، إن هذا كذب محض ، إني اقسم ان الجرعة التي اعطيتها للمراة كانت مضبوطة .

- دكتور "ارمسترونج" !

كان الصوت الخافت ملزماً ، فسكت الطبيب بينما مضى الصوت البارد يقول:

- إن استياءك طبيعي جداً ، ورغم ذلك يجب ان نعترف باننا يجب ان نواجه الحقائق . لم يكن بإمكان احد مضاعفة الجرعة سواك انت و"روجرز" ودعنا الآن نفحص موقف الموجودين الآخرين .. ما هي فرصتهم في دس السم ؟ هل يمكن تبرئة اي منا تماماً ؟ . لا اعتقد .

فقالت "فيرا" غاضبة :

- لم اكن قريبة من المراة على الإطلاق ، ويمكنكم كلكم ان تشهدوا بهذا .

- بقدر ما تسمح لي ذاكرتي فإن الحقائق كانت كما يلي : وارجو ان يراجعني اي منكم لو اخطات - لقد رفع "توني مارستون" ومستر "لومبارد" مسز "روجرز" ووضعاها على الاريكة . ثم ذهب دكتور "ارمسترونج" إليها ، وارسل "روجرز" كي يحضر شرابا .. وعندئذ اثير سؤال عن المكان الذي اتى منه الصوت وذهبنا كلنا إلى الغرفة المجاورة باستثناء الآنسة "برنت" التي بقيت في هذه الغرفة ، وحدها مع المراة المغشي عليها .

وارتفعت الدماء إلى وجنتي "إميلي برنت" وتوقفت عن التطريز وقالت :

- هذه وقاحة .

- وعندما عدنا إلى الغرفة كنت منحنية يا انسة "برنت" فوق المراة المسجاة على الاريكة .

- هل التعاطف الإنساني جريمة ؟

- إنني ارتب الحقائق فقط . وعندئذ دخل "روجرز" الغرفة حاملاً الشراب ، الذي كان بإمكانه بالتاكيد إضافة اي شيء إليه قبل دخوله ، وشربت المراة الشراب وبعدها حملها زوجها والدكتور "ارمسترونج" إلى غرفتها ، حيث اعطاها "ارمسترونج" منوماً .

فقال "بلور" :

- هذا ما حدث بالضبط ، وهذا يخلي القاضي ومستر "لومبارد" والآنسة "كليثون" وانا من المسؤولية .

- آه ، هل هذا حق ؟ يجب أن ناخذ في اعتبارنا كل احتمال ممكن .

- لا افهم ما ترمي إليه .

- كانت مسز "روجرز" ترقد في سريرها وبدا المنوّم الذي اعطاه الدكتور لها يحدث اثره ، وإذا افترضنا ان شخصاً ما نقر على الباب في هذه اللحظة ودخل إليها حاملاً دواء أو حبوباً ورسالة تقول إن الطبيب يامرها بتناولها، اتستطيع ان تتخيل انها لم تكن لتبتلع الدواء في طاعة عمياء ؟

وران الصمت ، وحرك "بلور" قدميه وهو مقطب الوجه .

وقال "فيليب لومبارد" :

- لا اصدق هذه القصة على الإطلاق ، وبالإضافة إلى هذا فإن احداً منا لم يغادر الغرفة ساعات بعد ما حدث . فقد حدثت فيما بعد وفاة "مارستون" وكل ما تلاها .

- كان في مقدور اي واحد مغادرة غرفة نومه .. فيما بعد .

- ولكن "روجرز" كان وقتها في غرفتهما .

فقال "ارمسترونج" :

- كلا لقد ذهب "روجرز" لتنظيف غرفة المائدة ، وكان في مقدور اي شخص ان يتسلل إلى غرفة المراة دون أن يراه أحد .

وقالت "إميلي برنت" :

- بالتاكيد يا دكتور إن المراة كانت عندئذ غارقة في النوم تحت تاثير المنوّم الذي أعطيته لها .

- نعم ، هذا محتمل ولكنه ليس مؤكداً ، لن تستطيع ان تعرف مدى تاثير المنوم على المريض قبل فحصه أكثر من مرة .

فقال "لومبارد" :

- إنك تقول هذا بالتاكيد يا دكتور ، فهذا يناسب موقفك ، اليس كذلك ؟

ومرة ثانية اسود وجه "ارمسترونج" بالغضب ، ولكن صوت القاضي البارد عاد يرتفع قائلاً :

- لن نجني فائدة من تبادل الاتهامات ، يجب علينا الا نعالج سوى الحقائق وحدها ، إنه من المقبول على ما اعتقد ان الاحتمال - الذي أوضحته - قائم . وانا اوافق على ان قيمته ليست كبيرة ، رغم انها تعتمد على من هو الشخص المعني ، إن ظهور الآنسة "برنت" أو الآنسة "كليثون" او ظهور مستر "لومبارد" او مستر "بلور" قد يكون غريباً ، ورغم ذلك فإنني اقول إن المراة قد تكون قبلت الزيارة دون إثارة اي شك في نفسها .

فقال "بلور" :

- وإلى اين يقودنا هذا ؟

- ٦ -

قال مستر "وارجريف" وهو يربت على شفتيه وقد بدا خالياً من العواطف الإنسانية :

- لقد بحثنا الآن الجريمة الثانية وتوصلنا إلى انه لا يمكن تبرئة اي منا من الشكوك فيما يتعلق بالجريمتين ، وبعدها نمضي إلى مقتل الجنرال "مكارثر" لقد حدث هذا في الصباح ، وإني اطلب من اي واحد منكم يستطيع ان يثبت بعده عن مكان الحادث ان يذكر هذا صراحة ، انا شخصياً ليس عندي إثبات قاطع على بعدي عن مسرح الحادث ، لقد قضيت الصباح كله جالساً على مقعد في الشرفة - افكر فيما آل إليه حالنا - حتى رن البوق يدعونا لتناول غدائنا ، ولكن مرت بي فترات كبيرة لم اكن مراقباً فيها . فكان من الممكن لي خلال هذه الأوقات ان امضي إلى شاطئ البحر فاقتل جنرال "مكارثر" ثم أعود إلى مقعدي وليس لدي سوى قسمي باني لم اغادر الشرفة ، وفي هذه الظروف فإن قسمي ليس كافيا ، يجب أن يوجد الدليل .

فقال "بلور" :

- لقد قضيت الصباح كله مع مستر "لومبارد" ودكتور "ارمسترونج" وهما يشهدان على ذلك .

فقال "ارمسترونج" :

- لقد ذهبت إلى المنزل لإحضار حبل .

- لقد ذهبت بالتاكيد مباشرة إلى المنزل ثم عدت فوراً .. انت تعرف هذا .

- لقد قضيت وقتاً طويلاً .

واحمر وجه "بلور" وصاح :

- ماذا تقصد بحق الجحيم يا دكتور "ارمسترونج" ؟

- لقد قلت إنك غبت طويلاً .

- الم يكن علي ان ابحث عن الحبل ؟ لا يمكن ان يعثر المرء على لفة من الحبال في دقيقة .

فقال القاضي :

- وخلال غيبة مستر "بلور" .. اكنتما معاً ايها السيدان ؟

فقال "ارمسترونج" :

- بالتاكيد ، اقصد ان "لومبارد" مضى لدقائق قليلة وبقيت وحدي حيث كنت..

فقال "لومبارد" مبتسماً :

- لقد اردت الوقوف على مدى إرسال إشارات من اشعة الشمس إلى الشاطئ المقابل . كنت ابحث عن افضل موقع ولم اغب سوى دقيقة او اثنتين.

واوما "ارمسترونج" موافقاً وقال :

- هذا حق . لم يغب ما يكفي لارتكاب جريمة قتل .. إنني اؤكد هذا .

فقال القاضي :

- هل نظر اي منكما في ساعته ؟ .

- حسنا ، لا .

وقال "لومبارد" :

- لم تكن ساعتي معي .

فقال القاضي :

-إن دقيقة او اثنتين تعبير غامض .

ثم ادار راسه إلى المراة التي كانت مستمرة في التطريز وقال :

- وانت يا انسة "برنت" ؟

- لقد تمشيت مع الآنسة "كليثون" إلى قمة الجزيرة وبعدها جلست اتشمس في الشرفة .

- لا اذكر اني رايتك هناك .

- نعم ، فقد كنت جالسة في الركن الشرقي للمنزل ، فقد كان هذا بعيداً عن الهواء .

- اجلست هناك حتى حان موعد الطعام ؟

- نعم .

- وانت يا انسة "كليثون" ؟

- كنت مع الآنسة "برنت" في الصباح الباكر ، وبعد ذلك تجولت قليلاً ، ثم ذهبت وتبادلت الحديث مع الجنرال "مكارثر" .

- متى كان ذلك ؟ .

- لا ادري . قبل الغداء بساعة تقريباً على ما اعتقد .. او ربما اقل ..

فسالها "بلور" :

- اكان هذا قبل ان نتحدث معه او بعدها ؟

- لا ادري .. لقد كان غريباً جداً .

فسالها القاضي :

- كيف .. ؟

- قال إننا كلنا سنموت .. وقال إنه ينتظر نهايته .. لقد .. لقد اخافني .

- وماذا فعلت بعد ذلك ؟

- عدت إلى المنزل ، وبعد ذلك ، وقبيل الغداء مباشرة ذهبت إلى خلف المنزل، لقد كنت قلقة للغاية طيلة هذا اليوم .

- يبقى "روجرز" .. رغم اني اشك فيما إذا كانت اقواله ستضيف شيئاً إلى حصيلتنا من المعلومات .

ولم يكن لدى "روجرز" ، الذي استدعي إلى قاعة المحكمة سوى القليل من القول ، كان مشغولاً طيلة الصباح بالأعمال المنزلية وبإعداد الطعام . وقد حمل صينية من كؤوس الشراب إلى الشرفة قبل الغداء ، ثم عاد لينقل حاجاته إلى غرفة اخرى .. ولم ينظر من النافذة طيلة الصباح فلم يرَ اي شيء يتصل بمقتل الجنرال "مكارثر" . وإنه ليقسم إنه راى ثمانية تماثيل خزفية على مائدة الطعام عندما وضع فوقها صحاف الغداء .

وتوقف الحديث بعد نهاية اقوال "روجرز" .

وتنحنح مستر "جستيس وارجريف" .

وهمس "لومبارد" إلى "فيرا كليثون" :

- سيبدأ الآن تلخيص الوقائع .

وقال القاضي :

- لقد بحثنا ظروف هذه الجرائم الثلاث بقدر استطاعتنا . وبينما يزداد الاحتمال ضد البعض منا في واحدة منها إلا اننا لا نستطيع ان نجزم بانه يمكن تبرئة اي شخص منا تبرئة تامة .. وإنني لمتاكد من اعتقادي بان واحدا من السبعة الموجودين في هذه الغرفة به لوثة جنون وليس لدينا من دليل يقوم ضد اي شخص معين ، وكل ما نستطيع بحثه في اللحظة الراهنة هو طريقة الاتصال بالشاطئ الآخر طلباً للمعونة ، وفي حالة تاخر وصول المعونة فما هي أنسب الطرق لضمان سلامتنا ؟

وإني أطلب إليكم كلكم ان تبحثوا الأمر بعناية وتدلوا إليّ باقتراحاتكم . وفي الوقت نفسه فإني احذر كل شخص ليتخذ حذره ، فحتى الآن كان العمل سهلاً أمام القاتل إذ لم يتوقع من ضحاياه اي شر ومنذ هذه اللحظة ، فإن واجبنا أن يحذر بعضنا البعض ، لا تخاطروا ، وتوقعوا اي خطر هذا كل ما هنالك .

وهمس "لومبارد" :

- ستنفض الجلسة الآن .

الفصل العاشر

- ١ -

وسالته "فيرا" :

- هل تصدق هذا ؟

كانت تجلس مع "فيليب لومبارد" على قاعدة نافذة في غرفة المعيشة . وفي الخارج كانت الأمطار تتساقط بغزارة والريح تصفر وتهز زجاج النافذة بعنف .

وأمال "فيليب لومبارد" راسه قليلاً إلى الناحية الأخرى ثم قال :

- أتعنين إن كنت اعتقد في صحة قول "وارجريف" العجوز بان واحداً منا هو الجاني ؟

- نعم .

- من الصعب ان يجزم الإنسان براي . وكما تعرفين فإن قوله صحيح منطقي.. ولكن .

- ولكنه يبدو بعيداً عن التصديق .

- الموضوع كله بعيد عن التصديق ، ولكن بعد مقتل جنرال "مكارثر" لم يعد هناك شك في امر واحد .. ليس هناك احتمال للقضاء والقدر او الانتحار . إنه قتل محض ، ثلاث جرائم قتل حديثة الوقوع متتابعة .

- إن الأمر يبدو كحلم مزعج . إني افكر دائماً بان شيئاً من هذا القبيل لا يمكن أن يحدث .

- أعلم هذا . وفي الحال ستسمعين دقاً على الباب ثم يدخل إليك شاي الصباح .

- أوه ، كم أتمنى ان يحدث هذا .

- نعم ، ولكنه لم يحدث . إننا كلنا في الحلم ويجب علينا ان ناخذ حذرنا من الآن فصاعداً .

- لو .. لو كان واحداً منهم .. فايهم هو في رايك ؟

- افهم من ذلك انك قد استثنيتنا كلينا . حسنا ، هذا صحيح . إني أعلم جيداً انني لست القاتل ، ولا اتخيل انه انت .. إنك تبدين لي من اكثر الفتيات اللائي رايتهن تعقلا واتزاناً . وانا اقسم بشرفي على هذا .

فقالت "فيرا" وهي تبتسم :

- شكراً .

- هيا يا انسة "فيرا كليثون" .. الن تردي لي مجاملتي ؟

فترددت "فيرا" قبل ان تقول :

- لقد اعترفت انت كما تعلم بانك لا تقيم وزناً كبيراً لحياة الإنسان .. ولكن رغم هذا ، لا استطيع ان اراك كذلك .. كالرجل الذي املى تلك الاسطوانة .

- هذا حق ، إذا كنت ارتكب جريمة قتل او اكثر فإنما من اجل ما ساحصل عليه منهم . إن هذا النوع من الجرائم ليس مما يتفق مع ميولي . حسنا ، إننا سنبرئ انفسنا ونبحث في امر الآخرين .. من منهم "ي.ن. اوين" ؟ حسنا، بالتخمين ودون ان يكون لدي اساس اعتمد عليه في التخمين فإنني اتهم "وارجريف" .

وقالت "فيرا" بدهشة :

- اوه .. ولماذا ؟

- من الصعب أن أوضح لك . ولكن لنبدا فنقول إنه رجل كهل ظل يراس دوائر القضاء لسنين عديدة . اي انه قد لعب دور مندوب العدالة الإلهية اشهرا عديدة من كل عام . ولابد ان هذا قد ارتقى بتفكيره .. فاخذ يفكر في نفسه كاقوى الناس .. المتحكم في الحياة والموت ، ومن المحتمل ان عقله قد انحرف فاراد ان يقوم بدور القاضي والجلاد معاً ، في وقت واحد .

- نعم ، اعتقد ان هذا محتمل .

ومن تتهمينه انت ؟

وبدون اي تردد اجابت :

- دكتور "ارمسترونج" .

وصفر "لومبارد" بفمه صفيراً خافتاً ثم قال :

- الطبيب ؟ اتعرفين ، لقد كنت اضعه في آخر القائمة .

- اوه ، كلا ! لقد نتجت حالتان من الوفاة عن السم ، وهذا يشير إلى الطبيب ثم إنك لا تستطيع ان تتجاهل ما نحن متاكدون منه تماماً وهو ان اخر شيء تناولته مسز "روجرز" كان المنوم الذي اعطاه إياها .

- نعم ، هذا حق .

- لو حدث وجن الطبيب فسيمضي وقت طويل قبل ان يشك فيه احد

والاطباء يجهدون انفسهم في العمل فيرهقون اعصابهم.

- نعم ولكني اشك في انه قتل "مكارثر" . لم يكن لديه وقت كاف خلال الفترة القصيرة التي تركته فيها .. إلا إذا كان قد اسرع إلى هناك ثم عاد . وانا اشك في ان لديه المقدرة على هذا العدو دون ان يترك فيه اثرا واضحاً .

- إنه لم يفعلها وقتها . لقد اتيحت له الفرصة فيما بعد .

- متى ؟

-عندما ذهب ليستدعي الجنرال لتناول الغداء .

وعاد "لومبارد" إلى صفيره ثم قال :

- وهكذا تعتقدين انه قتله عندئذ ؟ يا لها من اعصاب باردة .

- واي خطورة كان يتعرض لها ؟ إنه الشخص الوحيد هنا ذو الدراية الطبية . ويمكنه ان يقسم بان الجريمة قد ارتكبت منذ ساعة على الأقل ، فمن ذا الذي يعارضه ؟

- اتعرفين .. إنها فكرة رائعة .. إنني لأعجب بها .

- ٢ -

من هو يا مستر "بلور" ؟ هذا ما اريد ان اعرفه . من هو ؟

كان وجه "روجرز" منفعلاً وقد تقلصت يداه على قماش التنظيف الذي يمسك به .

وقال "بلور" ، مفتش الشرطة السابق :

- هذه هي المشكلة يا عزيزي .

- اهو واحد منا كما يقول سعادة القاضي .. اي واحد ؟ هذا ما اريد أن اعرفه ، من هو الشيطان الذي يتخفى في مظهر البشر؟

- هذا ما نود جميعاً معرفته .

- ولكن لابد ان لديك فكرة عنه يا مستر "بلور" .. اليس كذلك ؟

- ربما كانت عندي فكرة . ولكنها تحتاج إلى كثير من التاكيد فقد اكون مخطئاً . وكل ما استطيع ان اقوله هو انه إذا صح ما افكر فيه فإن الشخص المعني هو شخص هادئ الأعصاب للغاية . شخص فاقد المشاعر للغاية حقاً .

ومسح "روجرز" العرق من فوق جبينه وقال بصوت خشن :

- إن الأمر يبدو كحلم مخيف ، اليس كذلك ؟

- الديك اية فكرة يا "روجرز" ؟

فهز الساقي راسه وقال بصوت خشن :

- لا اعلم ، لا اعلم على الإطلاق ، وهذا ما يخيفني .. أن يكون لدى المرء فكرة .

- ٣ -

قال دكتور "ارمسترونج" بعنف :

- يجب أن نخرج من هنا .. يجب .. باي ثمن .

ونظر القاضي في نافذة غرفة التدخين مفكراً . واخذ يعبث بسلسلة "المونوكل" ثم قال :

- لا ادعي بالتاكيد انني خبير باحوال الطقس ، ولكنني اقول إنه من غير المحتمل أن يصل هنا اي قارب .. حتى لو عرفوا بما نحن فيه .. ليس قبل اربع وعشرين ساعة . إذا هدات الريح .

واسقط دكتور "ارمسترونج" راسه بين يديه واخذ يئن ، وقال :

- وفي هذا الوقت نكون قد قتلنا كلنا في مخادعنا .

- إني آمل الا يحدث هذا . إني ازمع ان اتخذ كافة الاحتياطات لمنع حدوث اي شيء من هذا القبيل .

- اتذكر .. لقد حدثت ثلاث جرائم بالفعل .

- بالتاكيد .. ولكن يجب أن تتذكر انهم لم يكونوا على حذر . اما نحن فلقد اخذنا حذرنا .

- وماذا يمكن لنا ان نفعل ؟ عاجلاً او آجلاً .

- اعتقد أن هناك الكثير الذي نستطيع أن نفعله .

- إننا حتى ليست لدينا اية فكرة عمن يكون ..

- اتعرف انني ما كنت لاقول هذا .

وحدّق إلى "ارمسترونج" وقال :

- اتعني انك تعرفه ؟ .

فقال القاضي بحذر :

- بالنظر إلى الوقائع الفعلية ، كما يحدث في المحاكم ، فإني اعترف بانني لا اعرف . ولكن يبدو لي بالتفكير في الأمر كله ، ان شخصاً واحداً معيناً ،

مدان بما فيه الكفاية ... نعم اعتقد هذا .

وحدّق إليه "ارمسترونج" وقال :

- لا افهمك !

- ٤ -

صعدت الآنسة "برنت" إلى غرفة نومها .

وامسكت بالإنجيل وجلست إلى جوار النافذة وفتحت الإنجيل . ولكنها بعد برهة من التردد وضعته جانباً وذهبت إلى مائدة الزينة فاخرجت من احد ادراجها كراس مذكراتها وفتحته واخذت تكتب :

«حدث اليوم شيء فظيع . لقد توفي الجنرال "مكارثر" ، ولا شك في ان الوفاة حدثت نتيجة لجريمة قتل . بعد الغداء القى القاضي خطبة عصماء . وهو مقتنع ان القاتل واحد منا . وهذا يعني ان احدنا تقمصه الشيطان . ولقد شككت في هذا من قبل بالفعل .. اينا هو ؟

إنهم جميعاً يسالون انفسهم هذا السؤال .. وإنني وحدي اعلم ..»

وجلست لحظة دون حراك .. وغامت عيناها .. وتقلصت اصابعها على القلم وكتبت بحروف كبيرة مهتزة :

«إن اسم القاتل هو "بياتريس تيلور"» .

واغمضت عينيها ..

وفجاة استيقظت منفعلة ، ونظرت إلى ما كتبته .. ومحت بغضب الحروف المهتزة التي سطرت بها الجملة الأخيرة .

وقالت بصوت خفيض :

« هل كتبت هذا ؟ . لابد انني اوشك ان اجن » .

- ٥ -

واشتدت العاصفة .

كان كل منهم في غرفة المعيشة ، وقد جلسوا متجاورين يراقب بعضهم البعض . وعندما دخل "روجرز" حاملاً صينية الشاي قفزوا جميعاً ..

وقال "روجرز" :

- هل ارخي الستائر ؟ . سيزيد هذا من بهجة المكان .

ولما لم يتلق اعتراضاً أرخاها وأضاء نور الغرفة فبدت أكثر بهجة .
وقالت "فيرا كليثون" :

- هل ستصبين الشاي يا آنسة "برنت" ؟
- لا .. صبيه أنت يا عزيزتي .. إن هذا الإبريق ثقيل جداً . وقد فقدت لفتين من الصوف الرمادي ، وإن هذا ليضايقني .

وبدأ الجميع يتناولون الشاي وتبادلوا حديثاً خفيفاً مرحاً . وفي هذا الجو المرح جاء "روجرز" وهو ثائر وقال بعصبية :

- معذرة يا سادة ، ولكن هل يعلم أحدكم بما حدث لستارة الحمام ؟

فقال "لومبارد" :

- ماذا تعني يا "روجرز" ؟
- لقد اختفت يا سيدي . لقد كنت أرخي ستائر كل نوافذ المنزل . ولكني لم أجد ستارة الحمام .

فسأله القاضي :

- وهل كانت هناك في الصباح ؟
- نعم يا سيدي .

فقال "بلور" :

- ما نوعها ؟
- ستارة من الحرير القرمزي .

فقال "لومبارد" :

- وقد اختفت ؟
- نعم يا سيدي .

فأخذوا يتبادلون النظرات ..
وقال "بلور" :

- حسناً .. وعلى كل .. فما أمرها ؟ إن من أخذها مجنون بلا شك . ولكن هكذا كل ما يجري هنا . وعلى كل حال ، إنها لا تهم . لا يمكن قتل إنسان بستارة حريرية ، انس الأمر .

فقال "روجرز" :

- أمرك يا سيدي .

- ٦ -

وأعد طعام العشاء فتناولوه ثم رفعت الصحاف . كان الطعام مكوناً أساساً من المعلبات . وعندما عادوا إلى غرفة المعيشة كان التوتر أقسى من أن يحتمل.

ولما دقت الساعة التاسعة نهضت "إميلي برنت" واقفة وقالت :

- سآوي إلى فراشي ..

فقالت "فيرا" :

- وأنا كذلك .

وصحبهما "لومبارد" و"بلور" حتى دخلتا غرفتيهما وأغلقتاهما من خلفهما بالرتاجين .. ثم عاد الرجلان إلى غرفة المعيشة ثانية.

وأوى الرجال الأربعة إلى فراشهم بعد ساعة . ورآهم "روجرز" وهو ينظف غرفة المائدة يصعدون معاً . وسمعهم يتوقفون بأعلى السلم .. وسمع القاضي يقول :

- لست في حاجة إلى أن أنصحكم بأن تغلقوا غرفكم أيها السادة .

الفصل الحادي عشر

- ١ -

كان "فيليب لومبارد" معتاداً على الاستيقاظ عند شروق الشمس . وقد استيقظ وفقاً لعادته هذا الصباح ، واتكأ على مرفقه وأنصت .. كانت الريح لاتزال تزمجر رغم أن حدتها قد خفت ، ولم يسمع أي صوت للأمطار .

وفي الثامنة اشتد هبوب الريح ولكن "لومبارد" لم يسمعها .. فقد عاوده النوم.

وفي التاسعة والنصف كان جالساً على حافة فراشه ينظر في ساعته .. ثم وضعها على أذنه .. ثم ابتسم تلك الابتسامة التقليدية الشبيهة بابتسامة الذئب . وقال :

- أعتقد أن الوقت قد حان كي نفعل شيئاً .

وبعد خمس دقائق كان يدق على باب غرفة "بلور" ، وفتح الأخير باب غرفته بحذر .. كان شعره مشعثاً وعيناه فيهما آثار النوم .

وقال "لومبارد" :

- أما تزال نائماً إلى هذا الوقت ؟ هذا يدل على راحة ضميرك.

- ماذا هناك ؟ .

- هل ناداك أحد ؟ هل أحضر لك أحد شايا ؟ أتعرف كم الساعة الآن ؟

ونظر "بلور" خلفه إلى ساعة صغيرة إلى جوار السرير وقال :

- التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة . لا أصدق أني نمت إلى هذا الوقت . أين "روجرز" ؟ .

- نفس السؤال الذي أسأله أنا .

- ماذا تعني ؟ .

- أعني أن "روجرز" مفقود . إنه ليس في غرفته أو في أي مكان آخر .

وإبريق الشاي لا يغلي ، والنار ليست مشتعلة .

- أين ذهب بحق السماء ؟ هل خرج إلى الجزيرة ؟ انتظر حتى أرتدي ملابسي ، وأسأل الآخرين إن كان لديهم علم بالموضوع .

ومضى "لومبارد" إلى غرف الآخرين . ووجد "أرمسترونج" مستيقظاً وقد ارتدى ملابسه . أما مستر "جستيس وارجريف" فقد أوقظ من نومه مثل "بلور" بينما كانت "فيرا كليثون" مرتدية ملابسها وكانت حجرة "إميلي برنت" خالية .

وسارت المجموعة الصغيرة في أرجاء المنزل . كانت غرفة "روجرز" خالية كما قال "لومبارد" . وكان على السرير آثار النائم كما وجدوا موسى الحلاقة بجانبه.

وقال "لومبارد" :

- لقد استيقظ من نومه بالفعل .

وقالت "فيرا" بصوت خافت جاهدت للاحتفاظ به ثابتاً :

- ألا تعتقد أنه مختف في مكان ما .. ينتظرنا ؟

- يا عزيزتي ، إنني على استعداد للشك في أي شخص . ورأيي أن نبقى معاً حتى نعثر عليه .

وقال "أرمسترونج" :

- لابد أنه خارج المنزل في مكان ما بالجزيرة .

وقال "بلور" الذي انضم إليهم بعد أن ارتدى ملابسه دون أن يحلق ذقنه .

- وإلى أين ذهبت الآنسة "برنت" ؟ هذا غموض آخر .

ولكن ما إن وصلوا إلى الردهة حتى التقوا بـ "إميلي برنت" قادمة من خلال الباب الأمامي مرتدية معطفاً واقياً من المطر ، وقالت :

- لا يزال البحر هادرا . لا أعتقد أن أي قارب سيأتي اليوم .

فقال "بلور" :

- هل كنت تتجولين في الجزيرة يا آنسة "برنت" ؟ الا تدركين ان هذا عمل اخرق للغاية ؟

- أؤكد لك يا مستر "بلور" انني ظللت ملتزمة حذري .

- هل رايت "روجرز" ؟

- "روجرز" ؟ كلا لم أره هذا الصباح .. لماذا تسال ؟ .

ولحق بهم القاضي بعد ان حلق ذقنه وارتدى ملابسه ووضع "طاقم" اسنانه في فمه. ومضى إلى غرفة المائدة وقال :

- لقد اعد الفطور على ما اعتقد .

ودخلوا جميعاً غرفة المائدة ونظروا إلى الأطباق النظيفة المرصوصة وإلى ادوات المائدة .. وإلى صف الأكواب الموضوعة على جانب المائدة .

وكانت "فيرا" اول من لاحظت الامر ، وقبضت على ذراع القاضي الذي ذعر من قسوة قبضتها باصابعها الرياضية . وصرخت :

التماثيل ! . انظروا .

لم يكن في منتصف المائدة سوى ستة تماثيل فقط .

- ٢ -

وسرعان ما عثروا على جثته .

كان ملقى في غرفة "الغسيل" الموجودة في الفناء . كان يعد خشباً لإشعال الفرن ، وكان لايزال ممسكاً بالبلطة الصغيرة .. بينما بلطة اكبر مستندة إلى الحائط وقد تلوث نصلها بالدماء .. وكان حجم النصل يتناسب مع الجرح العميق في مؤخر راس "روجرز" .

- ٣ -

وقال "ارمسترونج" :

- الامر غاية في الوضوح . لابد ان القاتل قد تسلل خلفه وقتله بضربة

واحدة من البلطة بينما كان منحنياً لتكسير الخشب .

كان "بلور" مشغولاً بفحص مقبض البلطة وآثار الدقيق القادمة من المطبخ .

وتساءل القاضي :

- هل تحتاج الضربة إلى قوة كبيرة يا دكتور ؟ .

- تستطيع المراة ان تقترفها . إذا كان هذا هو قصدك من السؤال .

ونظر حوله .. كانت المراتان قد عادتا إلى المطبخ فواصل حديثه قائلاً :

- تستطيع الفتاة ارتكابها .. إنها مدرسة العاب . إن مظهر الآنسة "برنت" يوحي بانها من النوع الضعيف .. ولكن هذا النوع من النساء يخفي كثيراً من القوة .

ووقف "بلور" وهو يتنهد وقال :

- ليست هناك آثار لبصمات ، لقد مسح مقبض البلطة فيما بعد ..

وسمعوا صوت ضحكة .. فالتفتوا بحدة . كانت "فيرا كليثون" تقف في الفناء، وصاحت بصوت حاد تهزه ضحكات وحشية :

- هل يحتفظون بنحل في هذه الجزيرة ؟ . اخبروني .. اين نجد عسلاً ؟ . ها.. ها .

وحدّقوا إليها بدون فهم .. كان يبدو كما لو ان الفتاة العاقلة المتزنة قد جنت امام اعينهم . ومضت تقول :

- لا تحملقوا هكذا كما لو كنت قد جننت . إن ما اساله لهو عين العقل . النحل . النحل . الا تفهمون ؟ الم تقرءوا القصيدة الغبية ؟ إنها في غرفكم .. وضعت لكم كي تدرسوها . لو كان لدينا اي فهم لاتينا إلى هنا مباشرة .

والمقطع "سبعة اطفال يقلمون فروع الشجر" هل قراتموه ؟

والمقطع الثاني ! إنني احفظها عن ظهر قلب . "ستة اطفال يلعبون بخلية نحل" .

ولهذا اسال .. ايحتفظون بنحل في هذه الجزيرة ؟ اليس هذا مضحكاً ؟ .

اليس هذا امراً لعيناً ؟

وعادت إلى ضحكها الوحشي . وصفعها دكتور "ارمسترونـج" على وجههـا .

ولهثت ثم شهقت .. وابتلعت ريقها ، ووقفت بلا حراك برهة ثم قالت :

– شكراً .. إنني الآن على ما يرام .

وعاد الهدوء والاتزان إلى صوتها ، واستدارت عائدة إلى المطبخ وهي تقول:

– سنعد انا والآنسة "برنت" الفطور . هل يمكن أن تحضروا بعض الأخشاب لإشعال النار .

وقال "بلور" :

– لقد عالجت الأمر بحنكة يا دكتور .

– اضطررت إلى هذا .. لا يمكننا ان نقبل الهستيريا وسط هـذه المصائـب .

كان "روجرز" قد اعد مجموعة من الأخشاب قبل مصرعه .. فجمعوها وحملوها إلى المطبخ .

وقالت "إميلي برنت" :

– شكراً . سنسرع بقدر استطاعتنا . خلال نصف الساعة او ثلاثة ارباع الساعة ..

– ٤ –

قال "بلور" لـ"لومبارد" في صوت خفيض :

– اتعرف فيم افكر ؟

– بما انك توشك ان تخبرني فالتخمين لا فائدة منه .

– كانت هناك قضية في "امريكا" . فقد لقي رجل هرم مصرعه هو وزوجته

بفاس ، في منتصف النهار . ولم يكن هناك احد في المنزل عدا الابنة والخادمة، وثبت انه لم يكن في مقدور الخادمة ان ترتكب الجريمة . اما الابنة فكانت عانساً محترمة في اواسط العمر . كان الامر بعيداً عن التصديق لدرجة انهم افرجوا عنها . ولكن لم يكن هناك حل اخر . فكرت في هذا عندما رايت الفاس ولما ذهبت إلى المطبخ ورايتها نظيفة هادئة .. ولم تهتز لها شعرة ، وهذه الفتاة تقبل في هستيرية . حسنا ، هذا طبيعي . الشيء المنتظر حدوثه . الا ترى هذا ؟

– ربما ..

– ولكن الأخرى ، نظيفة وهادئة .. ومرتدية تلك "المريلة" ، "مريلة" مسز "روجرز" على ما اعتقد .. وتقول :

– سيكون الفطور معداً في نصف الساعة او نحوها .

– إن هذه المراة في رايي مجنونة تماماً . والعديد من العوانس يصبن بالجنون .. جنون الإيمان .. تعتقد انها وسيلة إلى الله .. او شيء من هذا القبيل . إنها كما تعلم تقضي وقتها في غرفتها في قراءة الإنجيل .

وتنهد "فيليب لومبارد" وقال :

– إن هذا لا يثبت اي خلل عقلي يا "بلور" .

– ثم إنها كانت في الخارج .. مرتدية معطفاً واقياً من المطر وتقول إنها كانت ترقب البحر .

– لقد قتل "روجرز" وهو يعد خشب الوقود .. اي انه قتل فوراً بعد ان استيقظ من نومه ، فلم تكن الآنسة "برنت" في حاجة إلى التجول ساعات في الخارج بعدها . وإذا سالتني رايي فانا اعتقد ان قاتل "روجرز" لابد ان يحرص على ان يظل ملتفاً في اغطية فراشه رافعاً شخيره ..

– إنك تبتعد عن النقطة الجوهرية يا مستر "لومبارد" . لو ان المراة بريئة لما وجدت الجراة للتجول في الجزيرة بمفردها .. ما كانت لتفعل هذا إلا إذا

لم يكن لديها سبب للخوف .. اي إذا كانت هي نفسها المجرمة .

– هذا راي سديد . نعم ، إنني لم افكر في هذا . وإني لسعيد انك قد كففت عن الشك فيّ ..

– لقد فكرت فيك اولاً .. المسدس والقصة الغريبة التي قلتها ، او التي لم تقلها .. ولكني ادركت الآن اني كنت متطرفاً في شكوكي ، وامل ان يكون هذا هو نفس شعورك نحوي .

– قد اكون مخطئاً بالتاكيد ، ولكني اشعر انه ليس لديك ما يكفي من الخيال للقيام بهذا العمل . كل ما استطيع قوله ، هو انه لو كنت انت المجرم فإنك بذلك ممثل شديد البراعة وانا اخلع قبعتي تحية لك . ولكن فيما بيننا يا "بلور" ، ونحن نضع في اعتبارنا اننا سنلاقى حتفنا قبل مرور يوم اخر ، الم ترتكب تلك التزوير ؟

وقال "بلور" بضيق :

– لا يبدو ان الحقيقة ستضيف مزيداً من المتاعب ، حسنا ، إليك بها . لقد كان "لاندور" بريئاً تماماً . لقد اتصلت بي العصابة ورتبنا الامر معاً وجعلناه كبش الفداء ، وضع في اعتبارك انني ما كنت لاعترف بهذا .

– لو كان هناك شهود ، إنه سر بيننا . امل ان تكون قد حصلت على ربح وافر من العملية .

– لم احصل على ما استحقه . لقد خدعتني العصابة الحقيرة ، غير انني حصلت على ترقية على كل حال .

– وعوقب "لاندور" بسجن مؤبد ثم مات في السجن .

– لم اكن اعلم بانه سيموت هناك ، اليس كذلك ؟

– نعم . كان هذا من سوء حظك .

– حظي انا ؟ إنك تقصد حظه .

– وحظك ايضاً ، لانه بسبب ما حدث فإن حياتك تشرف على نهاية غير

سعيدة .

وحدّق إليه "بلور" قائلاً :

–حياتي ؟ اتظن انني سالقى مصير "روجرز" والآخرين ؟ لست انا . إنني اخذ حذري جيداً .

– حسنا ، إنني لا اراهن ، وعلى كل حال ، فلو قتلت انت فلن احصل انا على اي عائد .

– ماذا تقصد يا مستر "لومبارد" ؟

– اعني يا عزيزي "بلور" إنه ليست لديك اية فرصة .

– ماذا ؟

– اعني ان عجز مقدرتك على التخيل سيجعلك هدفاً سهلاً .. إن مجرماً بمثل خيال "ي . ن . اوين" يستطيع ان يحيطك باحابيله في اية لحظة .. يختارها هو او هي .

واحمر وجه "بلور" وقال بغضب :

– وماذا عنك انت ؟ .

واحمر وجه "لومبارد" وقال :

– إن لي قدرة رائعة على التخيل . ولقد مررت بازمات اشد من قبل وخرجت منها ، واعتقد .. لا اقول اكثر من ... إنني ساخرج من هذه الأزمة .

– ٥ –

كان البيض في المقلاة .. و"فيرا" تحمر الخبز وهي تفكر في نفسها :

– لماذا خرجت على هذه الصورة الهستيرية البلهاء ؟ كانت غلطة .. احتفظي بهدوئك يا فتاة .

وعلى كل فقد كانت تفخر دائماً باتزانها ! .

– "كانت الآنسة "كليثون" رائعة .. احتفظت باتزانها .. وسبحت على الفور

خلف "سيريل" .

- لماذا تفكرين في هذا ، لقد انتهى كل هذا .. انتهى ..

لقد اختفى "سيريل" قبل أن يصل إلى الصخرة بمدة طويلة ، لقد شعرت بالتيار يسحبها إلى داخل البحر . وتركت نفسها له وسبحت في هدوء . وطفت حتى وصل القارب أخيراً . وأثنوا على شجاعتها واتزانها .

ولكن "هوجو" لم يفعل ، لقد نظر إليها فقط .

يا الله !! كم جرحتها نظرته . إنها تفكر في "هوجو" !

أين هو ؟ ماذا يفعل ؟ هل خطب ؟ هل تزوج ؟

وقالت "إميلي برنت" بحدة :

- "فيرا" . إن الخبز يحترق .

- آه .. آسفة يا آنسة "برنت" .. يا لغبائي .

ورفعت "إميلي برنت" آخر بيضة من المقلاة الساخنة ، وقالت "فيرا" وهي تضع قطعة خبز جديدة فوق شبكة المقلاة ..

- إنك هادئة لدرجة رائعة يا آنسة "برنت" ..

- لقد ربيت على الاحتفاظ بهدوئي وعدم إحداث ضجة .

- كنت مكبوتة وأنت طفلة . إن هذا يفسر كثيراً .

ثم قالت :

- ألست خائفة ؟ أو لا يعنيك أن تموتي ؟

تموت ! لن تموت ! قد يموت الآخرون نعم ، ولكن ليس هي ، ليس "إميلي برنت" !

إن هذه الفتاة لا تفهم . إن "إميلي" ليست بخائفة بالتأكيد إن آل "برنت" لا يخافون ، لقد واجه كل قومها الموت في أثناء خدمتهم في الجيش دون خوف، ولقد عاشوا حياة ناصعة كحياتها . إنها لم تفعل أي شيء تخجل منه ، ولهذا لن تموت بالتأكيد . "لن يغادر أينا هذه الجزيرة " . من الذي قالها ؟ جنرال "مكارثر" . لم يبد أنه يهتم بالأمر ، كان يبدو .. حقيقة .. أنه يرحب بالموت . مذنب . من الخطل أن يفكر أحد بهذه الطريقة . إن بعض الناس يفكرون بلا اهتمام في الموت لدرجة أنهم يقضون على حياتهم بأيديهم ، "بياتريس تيلور" .. لقد حلمت بـ "بياتريس" في الليلة الماضية ، حلمت أنها في الخارج تلصق وجهها إلى النافذة وتئن طالبة أن يسمح لها بالدخول ،

ولم ترض "إميلي برنت" بالدخول ، لأنها لو فعلت لحدث شيء فظيع.

وأفاقت "إميلي" لنفسها فجأة ، لقد كانت هذه الفتاة تنظر إليها باستغراب وقالت بصوت حاد :

- هل كل شيء معد ؟ سنحمل الطعام إلى الداخل .

- ٦ -

كان تناول الفطور غريباً ، كل منهم كان يبدو في غاية الأدب .

- هل أحضر لك مزيداً من القهوة يا آنسة "برنت" ؟

- أتريدين شريحة من اللحم يا آنسة "كليثون" ؟

- قطعة أخرى من الخبز من فضلك .

ستة من الناس ، كلهم طبيعيون متمالكون أعصابهم في هدوء .. وبداخلهم كانت أفكار تدور في حلقة مفرغة :

- ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟ من أنا ؟

- هل تفلح الخطة ؟ إني لأتساءل هل تستحق التجربة .. لو كان هناك وقت كاف، يا إلهي لو كان هناك وقت كاف .

- جنون الإيمان ، هذا الدافع . ورغم هذا فإن الإنسان لا يصدق كلما نظر إليها، وإذا ما كنت مخطئاً .

إنه جنون ، كل شيء مخبول إنني ساجن . الصوف يختفي . الستارة الحريرة الحمراء . لا معنى لكل هذا .

- الغبي المأفون . لقد صدّق كل كلمة قلتها له . كان سهلاً ، يجب أن آخذ حذري رغم هذا .. حذراً تاماً .

- ستة من هذه التماثيل الخزفية . ستة فقط . كم سيبقى منها عند حلول الليل ؟

- من سيتناول البيضة الأخيرة ؟

- أتريد مربى ؟

- شكراً ، هل يمكنني الحصول على مزيد من الخبز ؟

ستة أشخاص يتصرفون طبيعياً على الفطور .

الفصل الثاني عشر

- ١ -

وانتهوا من تناول الوجبة ..

وتنحنح مستر "جستيس وارجريف" ، وقال بصوت آمر :

- أظن انه من الأصوب أن نلتقي لنتناقش في الوضع ، نلتقي في غرفة الاستقبال بعد نصف الساعة ؟

وأظهر الجميع موافقتهم على الاقتراح .

وبدات "فيرا" في جمع الأطباق ، وهي تقول :

- سانظف المائدة واغسل الأطباق .

فقال "لومبارد" :

- سنجمع نحن الأطباق .

- شكراً .

فجلست "إميلي برنت" بعد ان كانت قد وقفت وقالت :

- يا للأسف .

فقال القاضي :

- أهناك ما يضايقك يا آنسة "برنت" ؟

- آسفة ، كنت أود مساعدة الآنسة "كليثون" ولكن لا أدري ماذا دهاني .. أشعر بدوار خفيف .

فأتى إليها الدكتور "ارمسترونج" وهو يقول :

- دوار ؟ شيء طبيعي ، صدمة متاخرة ، باستطاعتي ان اعطيك شيئاً كي..

- كلا ..

انطلقت الكلمة من شفتيها كالقذيفة ، فصدمت كل الموجودين واحمر وجه "ارمسترونج" ، ولم يكن هناك اي شك في مظاهر الخوف والشك التي غطت وجهها .

وقال "ارمسترونج" بخشونة :

- كما تودين يا آنسة "برنت" .

- لا اريد تناول اي شيء .. بالمرة ، ساجلس هنا بهدوء حتى يزول عني الدوار .

وواصلوا جمع الأطباق ، ثم غادروا الغرفة وظلت برهة تسمع همهمة الأصوات تأتي إليها من حجرة "الغسيل" .

كان الدوار يخف ، وشعرت بنعاس ، كما لو كانت توشك ان تنام . وكان في أذنيها طنين .. او كانت هناك نحلة حقيقية في الغرفة ؟

وفكرت :

- إنه يشبه صوت النحلة ، النحلة ..

وفي الحال رأت النحلة .. كانت تزحف على زجاج النافذة .

لقد تحدثت "فيرا كليثون" عن النحل هذا الصباح .

النحل والعسل ..

إنها تحب العسل ..

إن هناك شخصاً في الغرفة .. شخص مبتل يتساقط منه الماء..

لقد اتت "بياتريس تايلور" من النهر .

لم يكن عليها كي تراها سوى ان تدير رأسها ..

لو تستطيع ان تنادي ..

لم يكن هناك في المنزل سواها ، كانت وحدها ..

وسمعت وقع اقدام .. خطوات ناعمة تقترب وراءها . الخطوات المتعثرة للغريقة .

وامتلأ انفها برائحة طيبة

على زجاج النافذة كانت النحلة تطن .. تطن ..

وعندئذ احست باللدغة ..

إن النحلة تلدغها على جانب رقبتها ..

- ٢ -

وجلسوا ينتظرون "إميلي برنت" في غرفة الاستقبال .

وقالت "فيرا كليثون" :

- هل اذهب واستدعيها ؟

فقال "بلور" بسرعة :

- لحظة من فضلك ..

فجلست "فيرا" .. ونظروا جميعاً إلى "بلور" متفحصين . فقال:

– انظروا إليّ جميعكم ، إليكم برايي : إننا لسنا في حاجة في هذه اللحظة إلى ان نبحث عن سبب لهذه الجرائم إلى ابعد من حجرة المائدة التي اقسم على ان هذه المراة هي التي نبحث عنها .

فقال "ارمسترونج" :

– والدوافع ؟

– جنون التدين . ما رايك يا دكتور ؟

– من المحتمل حقاً ، وليس لدي اي اعتراض . ولكن ليس لدينا اي دليل بالتاكيد .

وقالت "فيرا" :

– كانت غريبة جداً ونحن في المطبخ نعد الفطور ، كانت عيناها ..

ثم ارتجفت ..

وقال "لومبارد" :

– لا يمكن ان نحكم عليها من هذا . لقد بدانا نهرف الآن ! .

وقال "بلور" :

– هناك شيء آخر ، إنها الوحيدة التي رفضت الإدلاء باي تفسير عن سماع تلك الاسطوانة ، لانها ليس لديها اي تفسير .

وتململت "فيرا" في مقعدها وقالت :

– إن هذا ليس حقيقياً .. لقد اخبرتني .. فيما بعد ..

فقال "وارجريف" :

– وماذا قالت يا آنسة "كليثون" ؟

فاعادت "فيرا" على مسامعهم قصة "بياتريس تيلور" ..

فقال القاضي :

– قصة صريحة تماماً ؛ وانا شخصياً ما كنت اجد اية صعوبة في تصديقها، اخبريني يا آنسة "كليثون" .. هل بدت عليها اية متاعب من اثر الشعور بالإثم او الندم على تصرفها في هذا الموضوع ؟

– لا . لقد كانت مطمئنة تماماً .

فقال "بلور" :

– قلوب قدت من صخر ، هؤلاء العوانس المتدينات ! الحسد غالباً .

فقال مستر "جستيس وارجريف" :

– إن الساعة الآن الحادية عشرة إلا خمس دقائق ، اظن اننا يجب ان نستدعي الآنسة "برنت" للانضمام إلى اجتماعنا .

فقال "بلور" :

– الن تتخذوا اي إجراء ؟

– لا ادري اي إجراء يمكننا اتخاذه . إن شكوكنا في اللحظة الراهنة ما هي إلا مجرّد شكوك ، وعلى كل حال فإنني ساطلب من الدكتور "ارمسترونج" ان يراقب تصرفات الآنسة "برنت" باهتمام ، دعونا الآن نمض إلى غرفة المائدة .

ووجدوا "إميلي برنت" جالسة في المقعد الذي تركوها جالسة عليه ، ولما كانت تعطيهم ظهرها فإنهم لم يلحظوا اي نقص سوى انه لم يكن يبدو عليها انها تسمع وقع اقدامهم .

وعندئذ راوا وجهها مخضباً بالدماء وشفتيها شديدتي الزرقة وعينيها جاحظتين .

وصاح "بلور" قائلاً :

– يا إلهي ، لقد ماتت !

– ٣ –

وقال مستر "جستيس وارجريف" بصوته الهادئ الخافت :

– لقد مضى واحد آخر منا .. تاخرنا كثيراً .

وكان "ارمسترونج" منحنياً فوق المراة الميتة ، وفحص الشفتين ثم هز راسه وهو يفحص جفنيها .

وقال "لومبارد" بصبر نافد :

– كيف ماتت يا دكتور ؟ كانت على ما يرام عندما تركناها هنا.

وجذب انتباه "ارمسترونج" علامة على الجانب الأيمن من الرقبة . وقال :

– هذا اثر حقنة تحت الجلد .

وجاء صوت طنين من جهة النافذة ، وصاحت "فيرا" :

– انظروا .. نحلة ! اتذكرون ما قلته لكم في الصباح ؟

فقال "ارمسترونج" :

– لم تكن النحلة هي التي لدغتها ، لقد رفعت نحوها يد بشرية بالمحقن .

فساله القاضي :

- وما نوع السم التي حقنت به ؟

- إنه بالتخمين احد مركبات السيانيد ، من المحتمل ان يكون سيانيد البوتاسيوم ، مثل الذي قتل به "توني مارستون" ، لابد انها ماتت فور ان حقنت به .

وصاحت "فيرا" :

- ولكن تلك النحلة ! لا يمكن ان يكون الأمر مصادفة .

فقال "لومبارد" باقتضاب :

- كلا ، إنها ليست مصادفة ، إنها اللمسة الجميلة للقاتل ؟ إنه وحش لعوب ، يحب التمسك بقصيدته اللعينة بقدر الإمكان. كان صوته مهتزاً لاول مرة ، كانت أعصابه تبدو كما لو كانت قد انهارت .

وعندئذ وبعد طول مقاومة لمواقف واهوال عصيبة ، اضاف محتداً :

- إنه جنون .. جنون مطبق ، كلنا مجانين !

فقال القاضي بهدوء :

- لايزال لدينا على ما اعتقد القدرة على الاستدلال ، هل احضر ايكم محقناً معه إلى هذا المنزل ؟

فقال الطبيب بصوت متردد :

- نعم ، لقد احضرت معي محقناً .

وتركزت عليه اربعة ازواج من الأعين فقال :

- كلما سافرت احمل محقناً ، كل الأطباء يفعلون هذا ..

فقال القاضي بهدوء :

- حقاً ، هلا اخبرتنا يا دكتور اين ذلك المحقن الآن ؟

- في حقيبة الملابس في غرفتي .

- ربما امكننا ان نتحقق من هذا .

وحدّق الخمسة في موكب صامت .

وافرغت محتويات الحقيبة على الأرض .

ولم يكن من بينها المحقن !!

- ٤ -

وقال "ارمسترونج" بعنف :

- لابد ان احداً قد اخذه !

وران الصمت على الغرفة .

ووقف "ارمسترونج" مولياً ظهره نحو النافذة ، وقد تسلطت عليه اربعة أزواج من الأعين ملؤها الشك والاتهام ، واخذ ينقل عينيه من "وارجريف" إلى "فيرا" وهو يردد في يأس وضعف :

- اقول لكم إن احداً لابد قد اخذه .

وكان "بلور" ينظر إلى "لومبارد" الذي بادله النظرة .

وقال القاضي :

- هنا في هذه الغرفة خمسة اشخاص - واحد منا قاتل ، والموقف يموج بخطر عظيم ، ويجب ان نفعل كل شيء من اجل حماية الأبرياء الآخرين ، إنني اسالك يا دكتور "ارمسترونج" عن الأدوية التي تحتفظ بها في حوزتك .

- لديّ حقيبة صغيرة من الأدوية ، يمكنك ان تفحصها ، ستجد بعض الأدوية المنوّمة ، تريونال وبعض اقراص السلفونال ، وعلبة من البروميد وبيكربونات الصودا والأسبرين، ولا شيء عدا هذا ، ليس لدي اي سيانيد .

- إنني شخصياً احتفظ ببعض الأقراص المنوّمة ، سلفونال على ما اظن ، واعتقد انها يمكن ان تقتل لو استعملت بكثرة ، وانت يا مستر "لومبارد" تحتفظ بمسدس معك .

فقال "لومبارد" بحدة :

- واي شيء في هذا ؟

- ليس لديّ إثبات للوقائع ، اقترح جمع ادوية الطبيب ، وما عندي من اقراص السلفونال ومسدسك واي شيء من هذا القبيل ووضعها في مكان مأمون .

فقال "لومبارد" :

- عليّ اللعنة لو اعطيتكم مسدسي .

- مستر "لومبارد" ، إنك رجل صغير السن قوي البنية ، إلا ان مستر "بلور" قوي هو الآخر ، ولا اعرف ما ينتج عن عراك بينكما، ولكنني اقول لك إنني ساكون في جانب مستر "بلور" ، وكذلك دكتور "ارمسترونج" والآنسة "كليثون" واعتقد انك ترى ان الكفة لن تكون في صالحك لو حاولت المقاومة .

والقى "لومبارد" براسه إلى الخلف وقال مزمجراً :

- حسنا . ما دمت قد رتبت الأمر هكذا .
- إنك شاب عاقل ، اين هذا المسدس ؟
- في درج المائدة المجاورة لسريري .
- حسنا .
- ساحضره .
- اعتقد انه من المستحسن ان نذهب كلنا معك .
- يا لك من شيطان متشكك .

ومضوا إلى غرفة "لومبارد" . وذهب "لومبارد" إلى درج المائدة ففتحه ثم تراجع محتداً .

كان الدرج خالياً .

- ٥ -

وقال "لومبارد" متسائلاً :
- هل اطمأننتم ؟ .

كان قد خلع كل ملابسه ففتشه الرجال الثلاثة هو وحاجاته بدقة بينما بقيت "فيرا" في الخارج ، وبعد ذلك فتشوا "ارمسترونج" فالقاضي ثم "بلور" .

وخرج الرجال الأربعة من غرفة "بلور" واقتربوا من "فيرا" .

وقال القاضي :
- ارجو ان تفهمي يا انسة "كليثون" اننا لا يمكن ان نستثني احداً .. يجب العثور على ذلك المسدس ، اعتقد ان معك رداء استحمام ؟

فاومات "فيرا" بالإيجاب ..
- إذن فإني اطلب إليك أن تذهبي إلى غرفتك فترتدينه ثم تعودي إلينا .

فذهبت "فيرا" إلى غرفتها واغلقت الباب دونها . وبعد دقيقة عادت إليهم مرتدية ثوب استحمام ضيقاً جداً .

وقال "وارجريف" باستحسان :
- شكراً يا انسة "كليثون" . والآن إذا بقيت هنا فإننا سنفتش غرفتك .

وانتظرت "فيرا" في صبر في الممر حتى عادوا ، ثم ذهبت إلى غرفتها فارتدت ملابسها وعادت إليهم .

وقال القاضي :

- إننا الآن واثقون من شيء واحد . ليس هناك اي سلاح او ادوية في حوزة اي واحد منا نحن الخمسة . وهذا حسن .. والآن سنضع الأدوية في مكان مأمون اعتقد ان هناك صندوقاً من النحاس في غرفة الغسيل ، اليس كذلك ؟

فقال "بلور" :
- هذا حسن ، ولكن من الذي سيحتفظ بالمفتاح ؟ أنت على ما اعتقد .

ولم يجب مستر "وارجريف" .

وذهب إلى غرفة الغسيل والآخرون خلفه . كان هناك صندوق من النحاس لحفظ الأطباق وادوات المائدة . وبتعليمات من القاضي وضعوا الأدوية في الصندوق ثم اغلقوه .

وبتعليماته ايضاً وضعوا الصندوق في دولاب في الحجرة واغلقوه هو الآخر . وعندئذ اعطى القاضي مفتاح الصندوق إلى "فيليب لومبارد" ومفتاح الدولاب إلى "بلور" .

ثم قال :
- انتما اقوانا جسما .. وسيكون من الصعب على ايكما الحصول على مفتاح الآخر . ومن المستحيل على اي منا نحن الثلاثة الباقين ان نفعل هذا . وكسر الدولاب او الصندوق سيحدث ضجة تلفت الأنظار .

وتوقف قليلا قبل ان يضيف :
- ولكننا لا نزال نواجه مسالة خطيرة .. ماذا حدث لمسدس مستر "لومبارد"؟

فقال "بلور" :
- يبدو لي أن صاحبه اقدر الناس على معرفة ما حدث له .

وابيض انف "لومبارد" قبل ان يقول :
- إنني اقول لك ايها الغبي - يا من عقله اشبه بعقل الخنزير - إنه قد سرق!

فساله "وارجريف" :
- متى رأيته آخر مرة ؟
- في الليلة الماضية . كان في الدرج عندما اويت إلى الفراش .. كان مجهزاً لاحتمال حدوث اي شيء .

- لابد انه سرق هذا الصباح في اثناء البحث عن "روجرز" أو بعد العثور على جثته .

فقالت "فيرا" :

- لابد أنه مخبأ في مكان ما بالمنزل . يجب أن نبحث عنه .

فقال القاضي :

- إنني اشك في أن بحثنا سيكون له أي نتيجة . لقد كان لدى القاتل من الوقت ما يكفي لإخفائه في مكان أمين . لا أتخيل اننا سنعثر على هذا المسدس بسهولة .

فقال "بلور" :

- إنني لا أعرف أين يوجد ذلك المسدس . ولكني أراهن على أني أعرف أين يوجد المحقن . اتبعوني .

وفتح الباب الأمامي وقادهم إلى خلف المنزل .

وعلى بعد قليل من نافذة غرفة المائدة وجدوا المحقن . وإلى جواره كان تمثال خزفي محطم ، التمثال الخزفي السادس .

وقال "بلور" بارتياح :

- المكان الوحيد له . فبعد أن قتلها فتح النافذة والقى بالمحقن ثم بالتمثال. ولم تكن هناك أية بصمات على المحقن . كان قد مسح بعناية .

وقالت "فيرا" :

- والآن دعونا نبحث عن المسدس .

فقال القاضي :

- بكل وسيلة . ولكن لنعمل على أن نظل معاً . وتذكروا أنه لو انفصل بعضنا عن بعض فسوف تتاح الفرصة للقاتل .

وفتشوا المنزل جيداً من اعلاه إلى أسفله دون جدوى .

الفصل الثالث عشر

- ١ -

"واحد منا . واحد منا .. واحد منا ."

كلمتان كانتا تترددان باستمرار في رؤوسهم .

خمسة أشخاص . مذعورون .. خمسة أشخاص يراقب بعضهم البعض ، وقد توقفوا عن محاولة إخفاء قلقهم ..

كانوا كلهم يجلسون في غرفة الاستقبال . ولا يغادر الغرفة منهم سوى شخص واحد كل مرة بينما يجلس الأربعة الآخرون يترقبون عودته .

وتناولوا غداءهم في المطبخ . غداء من محتويات العلب المحفوظة .

وعندما دقت الساعة الخامسة قفزوا جميعاً .

وقالت "فيرا" :

- هل يريد أحدكم تناول الشاي ؟ وران صمت لبرهة ثم قال "بلور" :

- انا اريد ..

فنهضت "فيرا" وهي تقول :

- سأذهب لإعداده .. يمكنكم ان تنتظروني هنا ..

فقال القاضي :

- اظن يا آنستي العزيزة اننا كلنا نفضل أن نراقبك وانت تعدينه .

وبهتت "فيرا" ثم ضحكت ضحكة هيستيرية قصيرة وقالت :

- بالتأكيد ..

وذهب الخمسة إلى المطبخ . وأعدت "فيرا" الشاي ثم شربته هي و"بلور" .. أما الثلاثة الآخرون فقد تناولوا الشراب .

وعادوا إلى غرفة الاستقبال .. كانت الغرفة مظلمة . وضغط "لومبارد" على زر الإضاءة ولكن المصابيح لم تضأ فقال :

- بالتأكيد ! لقد سخن المولد إذ ظل يعمل طيلة اليوم منذ مقتل "روجرز" .

وتردد قليلاً قبل أن يقول :

- يمكننا ان نذهب ونصلحه على ما اعتقد .

فقال القاضي :

- هناك حزمة من الشمع ، وأظن انه من المستحسن استعمالها .

وذهب "لومبارد" وحده فأحضر الشمع وأشعل منه خمس شموع .
كانت الساعة تشير إلى السادسة والربع .

- ٢ -

وفي السادسة والثلث شعرت "فيرا" أن البقاء في الغرفة أصبح لا يطاق . وفضلت أن تصعد إلى غرفتها لتستحم كي تهدأ أعصابها .

ونهضت وأخذت معها شمعة ثم غادرت الغرفة وأغلقت بابها على الرجال الأربعة .

وصعدت الدرج ثم سارت في الممر متجهة إلى غرفتها .

ولما فتحت باب غرفتها صدمها شيء فوقفت متصلبة .

وارتجفت فتحتا أنفها ..

البحر .. رائحة من "سانت تريدنيك" .

نعم .. إنها نفس الرائحة .. لا يمكن أن تخطئها . إن الإنسان يشم رائحة البحر في الجزر بالتأكيد ، ولكن هذه الرائحة مختلفة . إنها تلك الرائحة التي كانت تلف الشاطئ في ذلك اليوم .. والأمواج تغمر الصخور المغطاة بالأعشاب البحرية .

- أيمكنني السباحة إلى الجزيرة يا آنسة "كليثون" ؟ .

-لماذا لا يمكنني أن أسبح إلى الجزيرة ؟

يا لبشاعة ذلك الصبي الثرثار ! لولاه لكان "هوجو" غنياً .. ولكان في مقدوره أن يتزوج من الفتاة التي يحبها .

"هوجو" .. من المؤكد .. إن "هوجو" إلى جوارها الآن .. كلا .. إنه ينتظرها في الغرفة .

وخطت إلى الأمام .. وأطفأ تيار الهواء نور الشمعة .

وغلبها خوف مفاجئ في الظلام .

وقالت لنفسها : "لا تكوني غبية .. كل شيء على ما يرام .. إن الآخرين في الطابق السفلي . لا يوجد أحد في الغرفة ، لا يمكن أن يوجد أحد ، إنك تتخايلين أيتها الفتاة" .

ولكن الرائحة .. رائحة شاطئ "سانت تريدنيك" .. هذا ليس بخيال .. إنه حقيقي ..

وكان هناك شخص ما في الغرفة .. لقد سمعت شيئاً .. بالتأكيد سمعت شيئاً .

وعندئذ .. وبينما هي واقفة تنصت .. لمست رقبتها يد باردة لزجة رطبة لها رائحة البحر .

- ٣ -

وصرخت "فيرا" .. وظلت تصرخ .. صرخات ملؤها الرعب ، صرخات يائسة تطلب النجدة .

ولم تسمع الضجة التي بأسفل .. مقاعد تقلب وباب يصفق وأقدام رجال تسرع صاعدة الدرج .. لم تشعر إلا برعب هائل .

وعندما استعادت وعيها كانت الأضواء تلمع في فتحة الباب ، شموع ، ورجال يهرعون إلى الغرفة .

- ماذا حدث بحق السماء ؟ وامصيبتاه ، ماذا حدث ؟

وارتجفت وخطت إلى الأمام ثم تهاوت على الأرض .

كانت تشعر بشخص ينحني فوقها ويحاول إفاقتها .

وفجأة تعالت صيحة دهشة تقول :

- يا إلهي ، انظروا إلى هذا ..

فاستعادت حواسها . وفتحت عينيها ورفعت رأسها ورأت ما كان الرجال ينظرون إليه .

حلقة كبيرة من أعشاب البحر المبتلة معلقة في السقف ، تلك الحلقة هي التي كانت تتأرجح مصطدمة برقبتها في الظلام .

وبدأت تضحك بطريقة هستيرية وقالت :

- لقد كانت أعشاب بحرية .. مجرد أعشاب بحرية .. وكانت هي مصدر الرائحة .

ثم أغمي عليها من جديد ، وعاود شخص ما محاولة إفاقتها .

ومضى وقت طويل .. وكانوا يقدمون لها شيئاً ما لتشربه ضاغطين الكأس إلى شفتيها وشمت رائحة الشراب .

وكانت توشك أن تجرع الشراب عندما ألفت رأسها فجأة تذكرها بالحذر فجلست ودفعت الكأس بعيداً وقالت بحدة :

- من اين اتيتم بهذا الشراب ؟
واجابها "بلور" قائلاً :
- لقد احضرته من اسفل .
- لن اشربه .
وران الصمت برهة ثم قال "لومبارد" ضاحكاً :
- هذا حسن يا "فيرا" .. إنك تحتفظين بفطنتك حتى في حالة فقدك الوعي . ساحضر لك زجاجة لم تفتح بعد .
وذهب ليحضرها .
وقالت "فيرا" متشككة :
- إنني على ما يرام الآن .. سأتناول بعض الماء .
وساعدها "ارمسترونج" على المشي حتى وصلت إلى الحوض . وملات كوبها من الصنبور .. وقال لها "بلور" بلوم :
- إن الشراب على ما يرام .
فقال "ارمسترونج" :
- ومن اين لنا ان نعلم .
- إنني لم اضع اي شيء فيه .. إن هذا ما تفكر فيه على ما اظن .
- إنني لا اقول إنك قد وضعت فيه شيئاً . ربما تكون قد فعلت أو ربما يكون اي شخص قد سمم الزجاجة من اجل هذه الحالات.
وعاد "لومبارد" إلى الغرفة حاملاً زجاجة جديدة وفتاحة . وقال وهو يضع الزجاجة امام عينيها :
- إليك بها يا فتاتي .. ليس فيها اي غش .
ورفع الفتاحة خلال السدادة ثم اخرجها وهو يقول :
- من حسن حظك ان المختزن من الشراب الجيد يتوافر في هذا المنزل .
وارتجفت "فيرا" بشدة .
وامسك "ارمسترونج" بالكاس فملاها "لومبارد" .
وقال "ارمسترونج" :
- من المستحسن ان تشربيها يا انسة "كليثون" .. لقد تعرضت لصدمة قذرة.
وشربت "فيرا" قليلاً مما في الكاس ، وعادت الدماء إلى وجهها.

وقال "لومبارد" ضاحكاً :
- حسنا .. إن جريمة واحدة لم تتم حسب الخطة .
فقالت "فيرا" هامسة :
- اتظن ان هذا كان هو الغرض مما حدث ؟
- توقع ان تموتي من الخوف ، كثير من الناس يموتون لهذا السبب ، اليس كذلك يا دكتور ؟
والتقط الطبيب الكاس التي احضرها "بلور" وتذوقها . ولم تتغير تعبيرات وجهه ، وهمهم قائلاً :
- طعمها على ما يرام .
فقال "بلور" بغضب :
- إذا قلت إنني سممتها فسانتقم منك واحطم رقبتك .
وقالت "فيرا" :
- اين القاضي ؟
ونظر الرجال الثلاثة حولهم وقالوا :
- هذا غريب .. ظننت انه حضر معنا .
وقال "بلور" :
- نعم .. ظننت هذا .. ما رايك يا دكتور .. لقد كنت انت اخر من صعد السلم منا .
- ظننت إنه تبعني .. بالتاكيد كان مضطراً إلى الإبطاء عنا .. إنه رجل كهل.
وعادوا ينظر بعضهم إلى بعض .
وقال "لومبارد" :
- إنه شيء ملعون غريب .
وصاح "بلور" :
- يجب ان نبحث عنه .
وسار إلى الباب والآخرون يتبعونه .. وكانت اخرهم "فيرا" .
وقال لهم "ارمسترونج" وهم ينزلون الدرج :
- من الطبيعي أن يكون منتظراً في غرفة الطعام .
وعبروا الردهة ، ونادى "ارمسترونج" بصوت عال :

- "وارجريف" .. "وارجريف" .. اين انت ؟

ولم يسمعوا رداً .. كان هناك صمت غريب يلف أرجاء المنزل . ما عدا صوت المطر.

وعندئذ .. وفي مدخل غرفة الاستقبال وقف "ارمسترونج" متصلباً .. وتزاحم الآخرون خلفه ... ينظرون من فوق كتفه .

وصرخ شخص منهم ..

- كان مستر "جستيس وارجريف" جالساً في مقعده ذي المسند العالي في نهاية الغرفة .. وتحترق شمعتان إلى جانبيه . ولكن الذي صدم الناظرين إليه انه كان يجلس مرتدياً عباءة قرمزية وعلى راسه الشعر المستعار الذي يرتديه القضاة .

واشار الطبيب إلى الآخرين بان يبقوا في اماكنهم . وعبر الغرفة إلى الجسد الصامت وهو يهتز كما لو كان سكراناً .

وتقدم وهو يحدق إلى الوجه الصامت . وبحركة سريعة رفع الشعر المستعار .. وسقط الشعر على الأرض كاشفاً الجبهة الصلعاء وفي وسطها علامة مستديرة ملطخة يتساقط منها شيء ما ..

ورفع الطبيب اليد الخالية من الحياة كي يجس نبضها . ثم استدار إلى الآخرين .. وقال بصوت خال من اي تعبير كما لو كان صادراً من بعيد :

- لقد اطلق عليه النار ..

فقال "بلور" :

- يا الله .. المسدس .

وقال الطبيب بنفس النبرة الأولى :

- اطلق الرصاص على راسه .. مباشرة .

وقفزت "فيرا" إلى الشعر المستعار . وقالت بصوت ملؤه الرعب:

- كرة الصوف التي فقدت من الآنسة "برنت" .

وقال "بلور" :

- والستارة القرمزية التي فقدت من الحمام .

وهمست "فيرا" :

- ولهذا السبب ارادهما !

وفجاة .. ضحك "لومبارد" ضحكة غير طبيعية وقال :

- خمسة اطفال في طريقهم إلى المحكمة ، وفقد واحد منهم في "تشانسري" فلم يبق سوى اربعة .. هذه هي النهاية ، نهاية مستر "جستيس وارجريف" . لن يعود إلى النطق بالأحكام ، وهذه آخر مرة يجلس فيها في قاعة المحكمة حيث لا مزيد من احكام الإعدام . لكم كان "إدوار سيتون" سيضحك لو انه كان هنا .. يا الله ، لكم كان سيضحك !

وصدم الآخرون وبهتوا لما قاله "لومبارد" ..

وصاحت "فيرا" :

- لقد قلت هذا الصباح إنه مجرم .

وتغير وجه "لومبارد" وقال بصوت خفيض :

- اعلم انني قلت هذا .. حسنا ، لقد كنت مخطئاً .. هاهوذا احدنا قد ثبتت براءته .. اخيرا ! .

الفصل الرابع عشر

- ١ -

وضعوا جثة مستر "جستيس وارجريف" في غرفته .

ثم تناولوا عشاء صامتاً في المطبخ من الطعام المحفوظ ..

وصعدوا إلى غرفهم .. وأغلق كل منهم بابه بإحكام ووضع خلفه بعض قطع من الأثاث زيادة في الحيطة .

وخلع "لومبارد" ملابسه وأوى إلى فراشه ومد يده فوضع الساعة فوق المائدة المجاورة .. وفتح الدرج مصادفة فوجد المسدس فيه .

- ٢ -

ظل "بلور" متيقظاً وقد جافاه النوم .. وفكره يتردد ما بين المسدس الضائع والخوف من المجرم المجهول والشخص البريء الذي أرسله إلى السجن .

وفجأة ..

كانت الساعة الموجودة بالطابق السفلي تدق الواحدة ..

وتوقفت أفكار "بلور" ، وجلس في سريره متيقظاً . لقد سمع أصواتاً .. أصواتاً خافتة جداً .. في مكان ما خارج غرفته ..

كان هناك شبه شخص يتحرك في المنزل المظلم .

وتساقط العرق غزيراً فوق جبهته .. من هذا الذي يتحرك خلسة وفي صمت في الممر ؟ . أهو شخص يسعى إلى عمل شرير .. إنه ليراهن على هذا .

وبهدوء .. ورغم خوفه .. نزل من السرير وفي خطوتين كان يقف خلف باب غرفته ينصت .

ولكن الصوت توقف .. ورغم هذا فقد كان "بلور" واثقاً من أنه لم يخطئ .. لقد سمع وقع الأقدام خارج هذا الباب . ووقف شعر رأسه .. لقد عرف الخوف ثانية .

هناك شخص يزحف متلصصاً في الظلام .

وانصت .. ولكن الصوت لم يتكرر .

وراوده إغراء جديد .. أراد أن يخرج ويبحث الأمر . لو أمكنه أن يرى من

المتلصص في الظلام .

ولكن فتح الباب بمثابة عمل غير صالح .. ومن المحتمل جداً أن هذا هو ما ينتظره المتلصص وربما كان قصده أن يسمع "بلور" ما سمع معتمدا على أنه سيخرج من مكمنه ليتحرى الأمر.

وفجأة سمع صوت وقع أقدام حذرة للغاية ، ولكنها واضحة لرجل ينصت بكل قواه كما يفعل "بلور" .

ومرّت الأقدام بغرفته دون تردد .

ولما حدث هذا استقر رأي "بلور" على شيء ما ..

يجب أن يرى من المتلصص .. لقد مرت الأقدام بالتأكيد بباب غرفته متجهة إلى الدرج . إلى أين يذهب الرجل ؟

وعندما يتصرف "بلور" فإنه يفعل ذلك بسرعة غريبة رغم ثقل وزنه وكبر حجمه .. عاد إلى السرير وأخذ علبة الثقاب ووضعها في جيبه ثم أخذ المصباح الكهربي الصغير الموضوع إلى جوار سريره بعد أن نزع أسلاكه .. إن قاعدته تعد كسلاح جيد .

وعبر الغرفة بهدوء فأزاح المقعدين من خلف الباب ثم فتح المزلاج دون صوت وكذلك قفل الباب وخطا إلى الممر .

وفي هذه اللحظة أدرك سر سماعه الأصوات بوضوح . فقد سكنت الريح .

ولمح "بلور" هيئة شخص يمرق من باب المنزل الأمامي .

وتوقف قبل أن يجري هابطاً الدرج ..

مرة أخرى كان يوشك أن يرتكب عملاً من أعمال الحماقة .. من المحتمل أن هذا طعم لإخراجه من المنزل .

ولكن الرجل الآخر لم يدرك أنه قد أخطأ بذلك ، وأنه قد أوقع نفسه في يدي "بلور" .

فمن بين الغرف الأربعة الموجودة ، لابد أن تكون واحدة خالية وكل ما عليه هو أن يعرف أيها تلك .

وطرق باب غرفة "أرمسترونج" . ولم يسمع أي رد .

وانتظر قليلاً ثم ذهب إلى غرفة "لومبارد" . ومن هذه الغرفة جاءه الرد في الحال :

- من هناك ؟

- انا "بلور" ، اعتقد ان "ارمسترونج" ليس في غرفته . انتظر برهة .
واسرع إلى غرفة "فيرا" وطرقها قائلاً :
- انسة "كليثون" .. انسة "كليثون" .
- من هذا ؟ . ما الخبر ؟
- كل شيء على ما يرام يا انسة "كليثون" .. انتظري برهة .. ساعود إليك .
واسرع إلى غرفة "لومبارد" . وما إن وصل إليها حتى كان الباب قد فتح ، و"لومبارد" يقف فيه ممسكاً بشمعة في يده اليسرى ويده اليمنى في جيب سترة منامته، وقال له بحدة :
- ما الخبر بحق السماء ؟
وشرح له "بلور" الأمر بسرعة .. ولمعت عينا "لومبارد" .
وقال "لومبارد" :
- "ارمسترونج" ! اي إنه ضالتنا المنشودة ! . انا آسف يا "بلور" فلم اعد استطيع الثقة في اي شيء .
قالها وهو متجه إلى غرفة "ارمسترونج" .
وطرق على باب الغرفة بعنف وهو ينادي إلى "ارمسترونج" .. ولكنه لم يسمع اي رد.
وانحنى على ركبتيه ونظر من ثقب الباب ، ثم دفع اصبعه الصغير في الثقب وقال :
- إن المفتاح ليس في الباب من الداخل .
- هذا يعني انه اغلق الغرفة من الخارج ثم اخذ المفتاح معه .
- احتياط طبيعي ، سنمسك به يا "بلور" . سنمسك به هذه المرة .. انتظرني برهة .
ثم اسرع إلى غرفة "فيرا" وقال لها :
- "فيرا" .
- نعم .
- إننا سنطارد "ارمسترونج" .. إنه ليس في غرفته . لا تفتحي باب غرفتك باي حال . اتفهمين ؟ .
- نعم ، افهم .
لو اتى إليك "ارمسترونج" وقال إنني قتلت او ان "بلور" قد قتل فلا تنصتي

إليه . لا تفتحي الباب إلا إذا تحدث إليك "بلور" او انا . هل فهمت .
- نعم ، إنني لست بلهاء .
- رائع .
ثم عاد إلى "بلور" وقال له :
- والآن .. خلفه . لقد بدات المطاردة .
- يجب ان ناخذ حذرنا .. لا تنس ان معه مسدساً .
فقال "لومبارد" وهو يسرع هابطاً الدرج :
- إنك مخطئ في هذا .
ثم فتح الباب الخارجي وقال :
- لقد رفع لسان القفل إلى الداخل حتى يستطيع العودة بسهولة
ثم واصل القول :
- إن المسدس معي ، وابرزه قليلاً من جيبه واضاف . عثرت عليه ثانية في درج المائدة هذه الليلة .
وتوقف "بلور" عند عتبة المنزل وقد امتقع وجهه .
ورآه "لومبارد" فقال :
- لا تكن احمق يا "بلور" . لن اطلق عليك الرصاص . عد إ ى غرفتك وحصن نفسك إذا احببت . اما انا فسامضي خلف "ارمسترونج" .
وسار في ضوء القمر .. وتبعه "بلور" بعد تردد قصير .

-٣-

ونهضت "فيرا" وارتدت ملابسها وجلست تنتظر ، وتدور افكار مبعثها الخوف في راسها .. وفجاة سمعت صوت زجاج يتحطم وكان مصدر الصوت من الطابق السفلي . وانصتت ولكن الصوت اختفى ..
وخيل إليها انها مجرد اوهام .
ولكن سرعان ما سمعت اصواتاً حقيقية .. لاشخاص يتحركون باسفل .. وهمهمات .. ثم صوت شخص يصعد الدرج وتفتح ابواب ثم تغلق . وبعض اقدام تصعد إلى غرفة السطح .. وضجة تاتي من هناك .
واخيراً عادت الخطوات إلى الممر .
وجاءها صوت "لومبارد" يقول :

- انت بخير يا "فيرا" ؟

- نعم .. ماذا حدث ؟

وقال "بلور" :

- هلا سمحت لنا بالدخول .

وفتحت لهما "فيرا" الباب بعد ان ازاحت المقعد والرتاج . كان الرجلان يتنفسان بصعوبة واقدامهما ونهاية سراويلهما مبتلة.

وعادت تسأل :

- ماذا حدث ؟

فقال "لومبارد" :

- لقد اختفى "ارمسترونج" .

- ٤ -

وصرخت "فيرا" :

- ماذا ؟ .

فقال "لومبارد" :

- اختفى من الجزيرة تماماً .

واضاف "بلور" :

- تبخر .. هذا هو الوصف الدقيق .

فقالت "فيرا" :

- هراء . إنه يختفي في مكان ما .

فقال "بلور" :

- كلا . اؤكد لك انه لا يوجد في الجزيرة اي مكان يختبئ فيه .. والقمر يسطع وكل شيء واضح كما لو كنا بالنهار ، ولم نجده .

فقالت "فيرا" :

- لقد عاد إلى المنزل ..

فقال "بلور" :

- لقد فكرنا في هذا ففتشنا المنزل ايضاً . لابد انك قد سمعتنا .. إنه ليس هنا .. اؤكد لك . لقد مضى . تبخر تماماً .

فقالت "فيرا" متشككة :

- لا اعتقد ذلك .

فقال "لومبارد" :

- إن هذا حقيقي يا عزيزتي . هناك حقيقة صغيرة اخرى . لقد تحطم لوح زجاج في غرفة المائدة .. وليس هناك سوى ثلاثة تماثيل صغيرة فوق المائدة!.

الفصل الخامس عشر

- ١ -

وامضوا الصباح كله جالسين فوق قمة الجزيرة يرسلون بانعكاس اشعة الشمس على مراة إشارات "مورس" طالبين النجدة . ولكنهم لم يتلقوا اي رد . وكان الموج عالياً ولذا لم يروا اي قارب على صفحة البحر . وفي الثانية بعد الظهر شعر "بلور" بالجوع وطلب إلى رفيقيه ان يعودا إلى المنزل لتناول الغداء. ولكن "فيرا" رفضت . كانت تفضل الجلوس في الخلاء . فالامن في الخلاء اكثر منه في المنزل . ثم إن فكرة تناول الطعام المحفوظ اثارت في نفسها الغثيان ووافقها "لومبارد" على رايها . واصرّ "بلور" على تناول الطعام فعاد وحده إلى المنزل .

وظل "لومبارد" و"فيرا" يتجادلان في امر "ارمسترونج" كانت مصرّة على ان "ارمسترونج" لم يمت ، وإنما اختفى في انتظار جريمته التالية بينما كان "لومبارد" يعتقد ان "ارمسترونج" قد قتل وان "بلور" هو المجرم .

وبينما هما يتجادلان صاحت "فيرا" فجاة :

- ما هذا ؟ احدث زلزال ؟

- كلا .. كلا .. شيء غريب .. لقد سقط شيء ثقيل على الارض واظن اني سمعت صرخة قصيرة .. لقد سمعتها .

وحملقوا إلى المنزل .

وقال "لومبارد" :

- لقد اتت من هناك .. من هناك .. من المستحسن ان نذهب لنرى ما حدث .

- كلا .. كلا .. لن اذهب .

- كما تشائين ، ولكني ذاهب .

- وهو كذلك . سانذهب معك .

وهبطا المنحدر إلى المنزل ، كانت الشرفة تبدو هادئة تحت اشعة الشمس ، وترددا عندها برهة ، وبدلاً من ان يدخلا المنزل من الباب الامامي آثرا الدخول من الباب الاحتياطي ليدورا حول المنزل .

وعثرا على "بلور" ، كان طريحا على أرض الشرفة ناحية الشرفة .. وقد حطمت كتلة رخامية راسه .

ونظر "لومبارد" إلى اعلى ثم قال :

- نافذة من تلك التي تعلونا ؟

- نافذتي ، وتلك هي الساعة التي كانت موضوعة على رف المدفاة ، تذكرتها الآن ، كانت على شكل دب .

وامسك "لومبارد" بكتفيها وقال :

- إن هذا يحسم الأمر ، إن "ارمسترونج" مختبئ في مكان ما بالمنزل ، يجب ان اعثر عليه .

- ٢ -

ولكن "فيرا" امسكت به وصرخت :

- لا تكن ابله . إنه في انتظارنا الآن .. نحن التاليين في قائمة جرائمه ، إنه يريدنا ان نبحث عنه ، إنه في انتظار هذه الخطوة .

وتوقف "لومبارد" وقال مفكراً :

- في قولك شيء من الصدق .

- وعلى كل حال فهل تعترف الآن بانني كنت على حق ؟

- نعم ، إنه "ارمسترونج" ، ولكن اين اختبا بحق السماء ؟

- وإذا كنت لم تعثر عليه في الليلة الماضية فلن تعثر عليه الآن ، لابد انه قد اعد مخبئاً سرياً من قبل .

- ٣ -

وقررا ان يقضيا الليلة في العراء .

وأخذا يتجولان في الجزيرة ، وفجاة توقف "لومبارد" في مكانه وقال بحدة:

- ما هذا ؟ انظري هناك إلى جوار الصخرة الكبيرة .. كلا .. ابعدي قليلاً.. ناحية اليمين .

وبهتت "فيرا" وقالت :

- تبدو كما لو كانت ثياب شخص ما ، دعنا نمض ونتاكد منها .

وبينما كانا يقتربان منها قال "لومبارد" :

- إنها ثياب ، خرقة من الثياب ، هذا حذاء ذو رقبة .. دعينا نقترب اكثر.

وفجاة وقفت "فيرا" وقالت :

- إنها ليست ثياباً ، إنها رجل .

كانت الجثة التي قذفها التيار إلى هذا المكان محصورة بين صخرتين .

ووصل "لومبارد" و"فيرا" إليها ، وانحنيا .

وجه قرمزي مشوه ، وجه شوهته آثار الغرق .

وصاح "لومبارد" :

- يا إلهي ، إنه "ارمسترونج" .

الفصل السادس عشر

- ١ -

وضحك "لومبارد" وقال :

- هذه هي الحقيقة إذن يا "فيرا" .

- ليس هناك أحد على هذه الجزيرة .. على الإطلاق .. ما عدانا نحن الاثنين.

- بالضبط ، وهكذا يعرف كل منا موقفه . أليس كذلك ؟

- كيف تمت .. خدعة تمثال الدب ؟

وفكرت "فيرا" : لماذا لم أر وجهه على حقيقته من قبل ؟ ذئب .. وجه ذئب . تلك الأسنان المخيفة .

وقال "لومبارد" :

- هذه هي النهاية ، أتفهمين ؟ لقد وصلنا إلى الحقيقة الآن ، وهذه هي النهاية.

- أفهم هذا ..

وحملقت في البحر ، لقد حملق جنرال "مكارثر" في البحر .. متى .. بالأمس فقط ؟ أو كان ذلك في اليوم السابق ؟ ولقد قال أيضاً إنها النهاية .

لقد قالها برضا وترحيب ، ولكن الكلمة بعثت في نفس "فيرا" ثورة .. كلا . لن تكون النهاية .

ونظرت إلى القتيل وقالت :

- مسكين يا دكتور "ارمسترونج" .

- ما هذا ؟ شفقة أنثوية ؟

- ولم لا ؟ أليس لديك شفقة ؟

- ليس لدي شفقة عليه . ولن تصدر مني !

- يجب أن ننقله ، احمله إلى المنزل .

- كي ينضم إلى الضحايا الآخرين ؟ كلهم مرتبون ونظيفون .. يمكنه أن يبقى هنا .

- إذن لنجره على الأقل بعيداً عن التيار .

- كما تشائين .

وانحنى واخذ يجرالجثة ، وانحنت "فيرا" إلى جواره تساعده بكل قواها .

وقال "لورمبارد" :

- هذه ليست بالمهمة السهلة .

ولكنهما ادياها على كل حال وسحبا الجثة بعيداً عن التيار .

وقال "لومبارد" وهو يستقيم :

- هل استرحت ؟

- تماماً .

وكان في نغمة صوتها ما يخيف ، فقفز إلى الخلف ، وادرك قبل ان تصل يده إلى جيبه انه سيجده خالياً .

كانت قد ابتعدت مترين وواجهته والمسدس في يدها .

وقال "لومبارد" :

- اي ان هذه هي شفقتك الانثوية . لقد اردت ان تنشلي المسدس من جيبي.

واومات براسها . كانت تمسك بالمسدس بثبات .

لقد اخذ الموت يقترب من "فيليب لومبارد" الآن ، لم يحدث ابداً ان كان الموت قريباً منه إلى هذه الدرجة . ورغم ذلك فيجب الا يهزم .

وقال "لومبارد" إلى "فيرا" امراً :

- أعطيني هذا المسدس .

وضحكت "فيرا" :

وقال "لومبارد" :

- هيا ، ناوليني المسدس .

واخذ عقله يعمل بسرعة ، اي طريق ، اية طريقة ، اتحدث بها إليها . اقنعها بهدوء ، ام اقفز عليها فجاة .

- انظري إلي يا فتاتي العزيزة ، استمعي إلي ..

ثم قفز بسرعة كالفهد .

وبالية ضغطت "فيرا" على الزناد .

وتوقف جسد "لومبارد" في منتصف الطريق متراخياً . ثم سقط على الارض.

- ٢ -

وحلت السكينة على "فيرا" .

اخيراً انتهى الامر ..

لم يعد هناك خوف .. ولا اعصاب متوترة .

لقد اصبحت وحيدة فوق الجزيرة .

وحيدة بصحبة تسع جثث .

ولكن فيم يهم هذا ؟ إنها حية .

وجلست .. سعيدة .. وفي امن .

لا مزيد من الخوف .

- ٣ -

واخيراً وبينما الشمس تغرب حل التعب بـ"فيرا" ، وادركت انها جائعة ناعسة . وقامت إلى المنزل ..

يا للسكون ..

في العادة يخاف المرء من النوم في منزل في كل غرفة من غرفه جثة ..

ولكنها متعبة ..

وترددت على باب المطبخ . اتدخل وتاكل ؟

إنها متعبة جداً ..

وتوقفت امام غرفة المائدة ، كان لا يزال فوق المائدة ثلاثة تماثيل خزفية .

وضحكت "فيرا" ..

والتقطت تمثالين والقت بهما من النافذة .

واخذت الثالث في يدها وهي تقول :

- يمكنك ان تاتي معي يا عزيزي . لقد انتصرنا : لقد انتصرنا.

وبدات "فيرا" ترتقي السلم وفي يدها التمثال الصغير .

- طفل صغير واحد بقي وحيداً ، كيف انتهت القصيدة ؟ . آه .. نعم .

- لقد تزوج وهكذا لم يبق احد .

تزوج ، امر مضحك ان ينتابها فجاة مرة اخرى شعور بان "هوجو" موجود في المنزل .

نعم إن "هوجو" ينتظرها في الطابق العلوي ..

- لا تكوني بلهاء ، إنك متعبة وتتخيلين أشياء لا وجود لها .

وصعدت الدرج ببطء وعلى قمة الدرج سقط منها شيء ما فوق السجادة فلم يحدث صوتاً ، ولم تلحظ أنها أسقطت المسدس .. لم تكن واعية أبداً إلا للتمثال الخزفي الذي في يدها .

يا لهدوء المنزل ، ورغم هذا لايبدو كمنزل خال .

إن "هوجو" ينتظرها في الطابق العلوى .

"طفل صغير واحد بقي وحيداً" .. ما هو السطر الأخير في القصيدة ؟ شيء عن الزواج . أم كان شيئا آخر ؟

ووصلت إلى باب غرفتها . إن "هوجو" ينتظرها في الداخل ، إنها متأكدة من هذا .

وفتحت الباب ..

وشهقت ..

ما هذا ؟ .. ما هذا الذي يتدلى من خطاف بالسقف .. حبل ذو أنشوطة .. على أتم استعداد ! ومقعد للوقوف عليه .. مقعد يزاح بعيداً .

هذا هو ما أراده "هوجو" ..

آه .. إن السطر الأخير هو :

"فذهب وشنق نفسه فلم يبق أحد" .

وسقط التمثال الخزفي من يدها .. وتدحرج وانكسر ..

وتحركت "فيرا" آلياً .. هذه هي النهاية ..

وتسلقت المقعد وعيناها تحدقان إلى الأمام كمن يسير نائماً ، ووضعت الأنشوطة حول رقبتها .

"هوجو" قادم ليرى كيف ستنفذ ما أراد .

وأزاحت المقعد بعيداً .

الخاتمة

لم تكن الشرطة التي أتت - بعد أن تلقت إخطاراً من الأهالي الذين وصلوا إلى الجزيرة في اليوم التالي بعد أن عاقهم هيجان البحر يوماً عن تلبية إشارات الاستغاثة التي رآها بعض صبيان الكشافة - لتعرف كيف حدثت هذه الجرائم .. لو لم تتلق بعد عدة أسابيع رسالة عثر عليها أحد مراكز خفر السواحل في زجاجة ألقت بها الأمواج ..

كانت الرسالة من القاضي ، مستر "جستيس بلودي وارجريف" .

كان من عادة القاضي أن يدون مذكراته ثم يضعها في زجاجة ويلقيها في البحر .. فقد كان تدوين مذكرات بما يعتمل في نفسه من نوازع يريح ضميره ويهدئ من ثورة شروره ، وكان يعتقد أن أحداً لن يطلع على هذه المذكرات طالما يتناقلها الموج في زجاجة .

ولكن الزجاجة التي عثروا عليها كان فيها آخر ما كتب من مذكرات ..

وانكشف اللغز لرجال الشرطة ..

- لقد هداني عقلي القانوني إلى أن أصبغ جرائمي بصبغة العدالة التي أفنيت في خدمتها طوال عمري وبدأت أبحث عن ضحايا ارتكبوا جرائم لا يعاقب عليها القانون ، أو أفلتوا من العقاب لسبب ما .

وكنت معتادا على أن أتحدث مع كل من أقابل .. حديثاً خلاباً يدلون لي فيه بأسرارهم .

وفي أحد المستشفيات أخذت إحدى الحكيمات تحدثني عن مضار الخمر متخذة حادثة دكتور "أرمسترونج" كدليل على قولها .

وفي أحد النوادي حدثني جندي عجوز مغرم بالشائعات بقصة الجنرال "مكارثر" بينما أدلى إليّ رجل عائد لتوه من الأمازون بملخص واف لأعمال "فيليب لومبارد" ، وفي جزيرة "ماجوركا" عرفت بما فعلته "إميلي برنت" ، وبطرق مشابهة انضم إلى قائمتي "أنتوني مارستون" و"بلور" ، وعلى ظهر إحدى السفن عرفت من "هوجو هاميلتون" بما حدث من "فيرا كليثون" ، وبعدها عرفت بجريمة "روجرز" وزوجته .

ولكني كنت لا أزال محتاجاً إلى ضحية عاشرة ..

ووجدته في شخص رجل يدعى "موريس" ، كان سمساراً يقوم بعمليات مريبة كما كان مسؤولا عن دفع ابنة بعض أصدقائي إلى الانتحار .

وبدأت تتفتح معالم الخطة في مخيلتي .

وكان من السهل عليّ أن أشتري الجزيرة متستراً تحت اسم مستر

"موريس" الذي قام بكل العمل نيابة عني ودون أن يكشف عن حقيقتي ولم يفشل أي جزء من خطتي ، ووصل جميع الضيوف إلى الجزيرة في الثامن من شهر اغسطس.

وقبل ان اغادر لندن متجهاً إلى الجزيرة كنت قد رتبت لمقتل "موريس" ، كان الرجل يعاني عسر هضم مزمن ، وقبل ان يتحرك قطاري من لندن اعطيته حبة دواء يتناولها قبل نومه مباشرة . ولم يكن لدي اي خوف من ان يترك اية وثيقة خلفه تكشف عما فعلت ، فلم يكن من هذا الصنف من الرجال .

وقد رتبت جرائم القتل حسب نوع الجريمة ، فمن كانت جريمته اخف وطأة ووزراً يلقى مصرعه اولاً حتى لا يعاني الخوف والقلق الذي سوف يعانيه من كانت جريمته تستحق عقاباً اشد .

وهكذا مات "مارستون" ومسز "روجرز" اولاً ، فقد ادركت ان "مارستون" من الاشخاص المتبلدي الإحساس وليس لديه ادنى إحساس بالمسؤولية . اما مسز "روجرز" فقد كانت مدفوعة إلى ما فعلت بتاثير من زوجها .

وكنت قد اتفقت مع إحدى شركات التمثيل عن طريق "موريس" على تسجيل الاسطوانة بحجة المساعدة في إحدى تمثيليات الهواة ، وخلال الهرج الذي حدث عقبها لم يكن من الصعب عليّ ان اضع السم في كاس "مارستون" الخالي .

وعندما احضر "روجرز" الشراب لزوجته وضعه اولاً على المائدة .. وبينما كنت امر بتلك المائدة دسست في الكاس بعض مسحوق الحبوب المنوّمة التي كنت اتناولها .

ولقي الجنرال "مكارثر" مصرعه دون الم كثير ، لم يسمعني وانا اقترب خلفه وكان عليّ بالتاكيد ان انتقي الوقت الذي اذهب فيه إليه بدقة حتى لا يراني احد.

وكما كنت اتوقع من قبل فقد فتشوا المنزل والجزيرة بدقة بحثاً عن المجرم . ولما لم يجدوا شيئاً ثارت الشكوك في انفسهم . وتبعاً لخطتي فقد كان عليّ ان اجد حليفاً واخترت دكتور "ارمسترونج" لهذا الدور .. كان يعرفني جيداً ولذا فقد كنت مطمئناً إلى ان الشك لن يساوره فيّ . كانت كل شكوكه مركزة في "لومبارد". ولمحت له إلى ان لديّ خطة قد احتاج فيها إلى خداع القاتل كي يكشف عن نفسه .

وقتلت "روجرز" في صباح العاشر من اغسطس ، كان يعد الاخشاب لإشعال الفرن فلم يسمعني وانا اقترب خلفه .

وخلال الهرج الذي حدث بعد مقتل "روجرز" تسللت إلى غرفة "لومبارد" وسرقت مسدسه وكنت أعلم أن معه مسدساً .. وفي الحقيقة كنت انا الذي امرت "موريس" أن يؤكد عليه ان يحضر معه مسدساً .

وفي اثناء تناول الفطور اسقطت آخر حبة لدي من المنوم في فنجان قهوة "إميلي برنت" وانا اناولها إياه .. وهكذا كانت في شبه غيبوبة عندما حقنتها بمحلول مركز من السيانيد . وكانت مسالة النحلة في الحقيقة لعبة طفولية ، ولكنها ادخلت السرور إلى نفسي بطريقة ما .. كنت مغرماً باتباع ما جاء في القصيدة بدقة .

وبعدها حدث ما توقعته ، فقد فتشنا كلنا بدقة ، وعقب هذا اوحيت إلى "ارمسترونج" باننا يجب ان ننفذ خطتنا .

ونفذنا الخطة في المساء ، قطعة من الطين الأحمر فوق الجبهة والستارة الحمراء والصوف ، وهكذا اصبح المسرح معداً ، وكان ضوء الشموع الخابي يخفي اية اخطاء ، وزيادة في الحرص لم يسمح "ارمسترونج" لاي منهم بالاقتراب مني .

وتمت الخطة بنجاح ، فقد جمعت صرخة الآنسة "كليثون" عندما عثرت على الأعشاب البحرية التي وضعتها في غرفتها .. جمعت هذه الصرخة الرجال الثلاثة في غرفتها . وفي هذه الأثناء تنكرت في صورة القتيل .

وحملوني إلى غرفتي ، وهذا ما كنت اريده ، نفذ "ارمسترونج" دوره في الخطة بإتقان ، وهكذا لم يعد اي منهم قلقاً من ناحيتي، كانوا كلهم يخافون بعضهم البعض .

وكنت قد رتبت موعداً مع "ارمسترونج" خارج المنزل حيث نختبئ في مكان ما خلف المنزل كي نرقب اي شخص يقترب منا دون ان يرانا ، ولم يكن يشك فيّ، وهكذا غرق . كان ذلك سهلاً .. فقد دفعته من فوق الصخور إلى البحر الهائج ، وعدت إلى المنزل . وكان وقع قدمي هو الصوت الذي سمعه "بلور" . فبعد ان دخلت غرفة "ارمسترونج" خرجت منها محدثاً جلبة مقصودة كي يسمعها كل منهم وعندما وصلت إلى اسفل الدرج سمعت صوت باب يفتح ، ولابد انهم لمحوا شبحي وانا امرق من الباب الخارجي .

ومضت دقيقتان قبل أن يتبعوني ، وكنت قد درت حول المنزل ثم دخلت من نافذة غرفة المائدة التي كنت قد تركتها مفتوحة .. واغلقت النافذة ثم كسرت زجاجها ، وبعدها صعدت إلى غرفتي ومددت نفسي فوق السرير .

وكنت قد اعدت المسدس إلى درج "لومبارد" ، وكنت قد خبأته في قاع احد

صناديق البسكويت ، ولم يتبادر إلى ذهن أحد أن يبحث هناك .

وجاءت اللحظة التي كنت انتظرها ، ثلاثة أشخاص يخاف بعضهم البعض ومع أحدهم مسدس . وراقبتهم من نافذة غرفتي وعندما جاء "بلور" وحيداً إلى المنزل كنت انتظره حاملاً تمثال الدب الرخامي .

وانتهى "بلور" ..

ومن نافذتي رأيت "فيرا" تطلق النار على "لومبارد" ، وما أن فعلت هذا حتى رتبت المسرح في غرفتها ..

كانت تجربة نفسية شائعة ، هل سيدفعها تأنيب ضميرها وتوترها العصبي عقب قتلها رجلاً بالإضافة إلى ما يوحيه الجو المحيط بها والقصيدة إلى الانتحار ؟ كنت أعتقد هذا .. وتبين اني كنت على حق ، وشنقت "فيرا كليثون" نفسها امام عيني حيث كنت اقف متوارياً خلف الشماعة .

والآن .. آخر حلقة في الجريمة ، تقدمت إلى الأمام ورفعت المقعد ووضعته إلى جوار الحائط .

وبعد ..

بعد أن انتهي من كتابة مذكراتي ساضعها في الزجاجة وسالقيها في البحر.. ثم اذهب إلى غرفتي وارقد على سريري ، وفي مقبض باب الغرفة شبكت منتصف حبل مطاطي معلق في السقف وفي الطرف الآخر ساشبك المسدس ، وسامسك بالمسدس بمنديل حتى لا تضيع منه آثار بصمات الآنسة "كليثون" ، وبعد أن اطلق الرصاص على نفسي لابد أن قوة ارتداد الطلقة ستلقي بالمسدس بعيداً بعد أن يسقط من يدي فيتحرر من الحبل الذي يتحرر هو الآخر من مقبض الباب ويبقى متدليا من السقف في براءة .

ولن يشك أحد في انه انتحار .. جريمة أخرى .

وسوف يعثر علي وانا مسجي على سريري بكامل هندامي .. مضروباً بالرصاص في جبهتي طبقاً لما سجله ضحاياي في مذكراتهم ، وسوف لا يمكن تحديد مواعيد وفاتنا بالضبط وقت فحص الجثث .

وعندما ينخفض المد سوف تاتي من الشاطئ الآخر قوارب محملة بالرجال. وسوف يجدون عشر جثث ولغزاً بلا حل فوق جزيرة "نيجر" .

توقيع
"جستيس وارجريف"